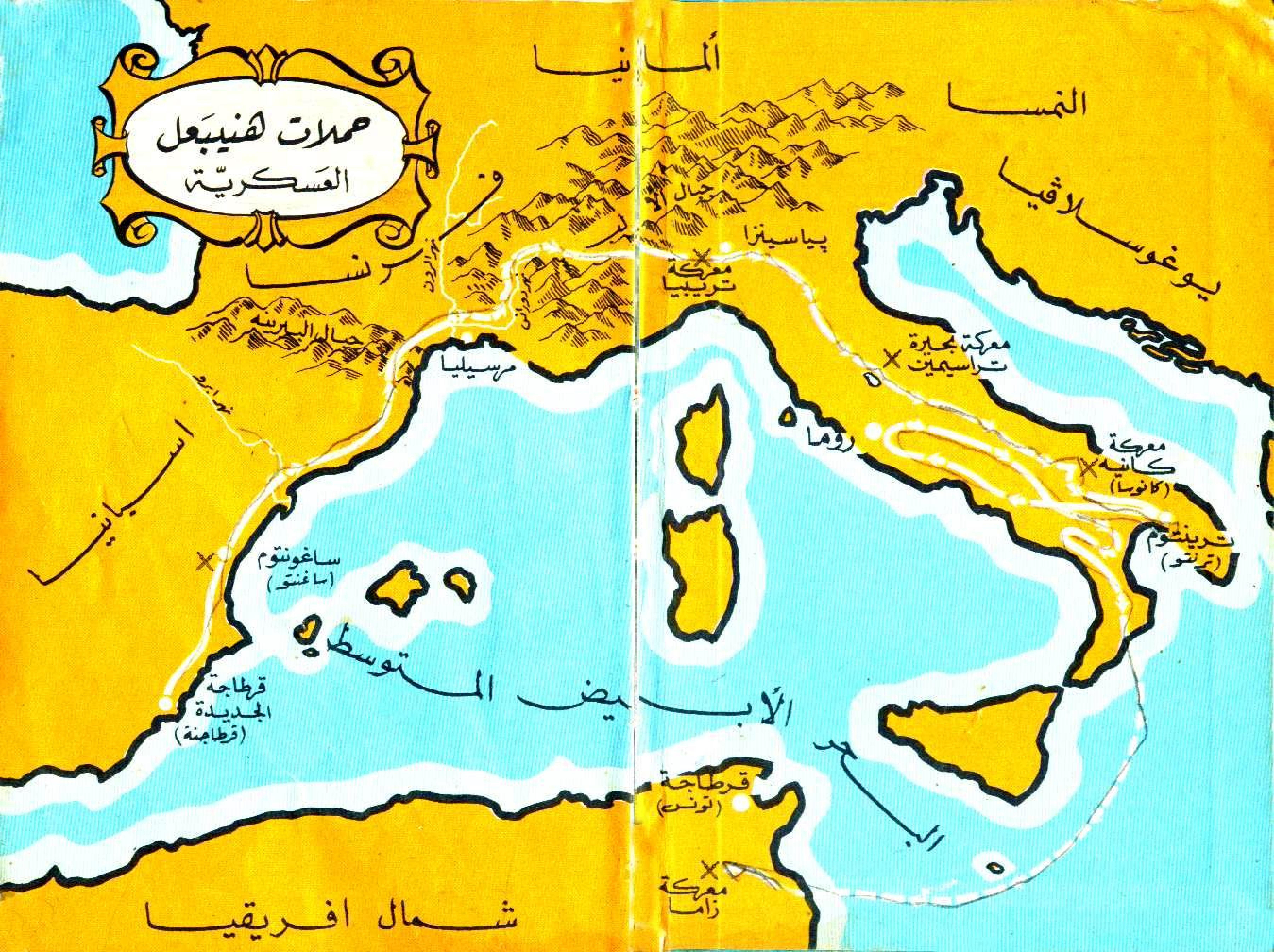

هَنِيبَعْل



حملات هنيبعل
العسكريّة
ألمانيا
النمسا
يوغوسلافيا
فرنسا
جبال البيرنيه
مرسيليا
بياسينزا
معركة تريبيا
معركة بحيرة
تراسيمين
روما
معركة
كانيه
(كانوسا)
ترينتوم
(ترنتو)
اسبانيا
ساغونتوم
(ساغنتو)
قرطاجة
الجديدة
(قرطاجنة)
البحر الأبيض المتوسط
قرطاجة
(تونس)
معركة
زاما
شمال افريقيا

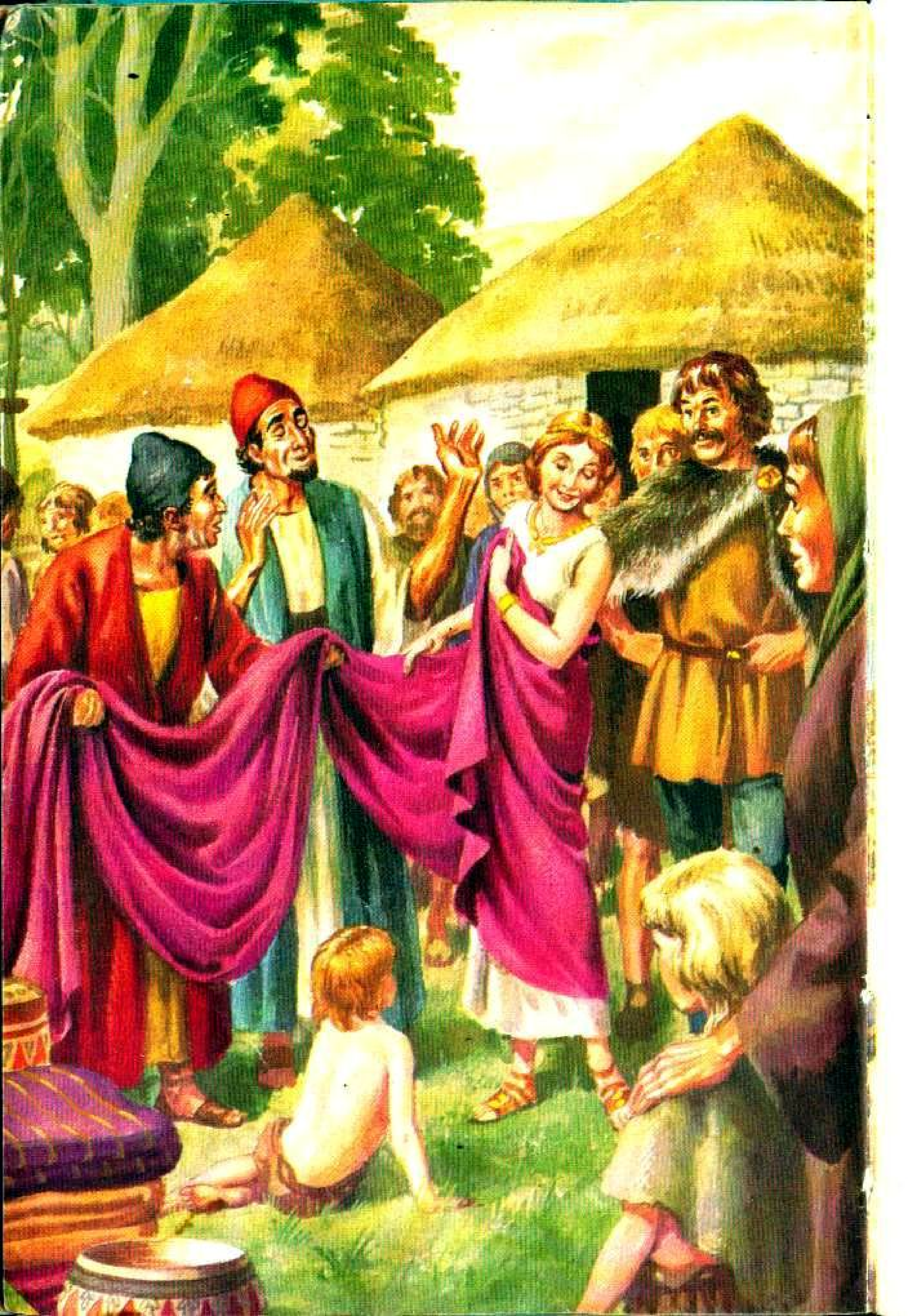
هَنِيبَعْل

تأليف : ل. دوغارد پيتش
نقله الى العربية : محمود عارف الاكحل
وضع الرسوم : فرانك همفريس

الناشرون :
مكتبة لبنان
بيروت
ليديبرد بوك ليمتد
لافبورو
لونغمان
هارلو

أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ عَنْ هَنِيبَعْلَ سِوَى أَنَّهُ ذَاكَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي عَبَرَ جِبَالَ ٱلْأَلْبِ بِعَدَدٍ مِنَ ٱلْفِيَلَةِ. غَيْرَ أَنَّكَ فِي هٰذِهِ ٱلْقِصَّةِ سَتَجِدُهُ ٱلْقَائِدَ ٱلْعَسْكَرِيَّ ٱلْمُحَنَّكَ ٱلْمِغْوَارَ ٱلَّذِي كَادَ أَنْ يُرْكِعَ رُومَا وَفَاءً بِقَسَمِ عَدَاوَتِهِ ٱلْأَزَلِيَّةِ لَهَا.

طبع في انكلترا



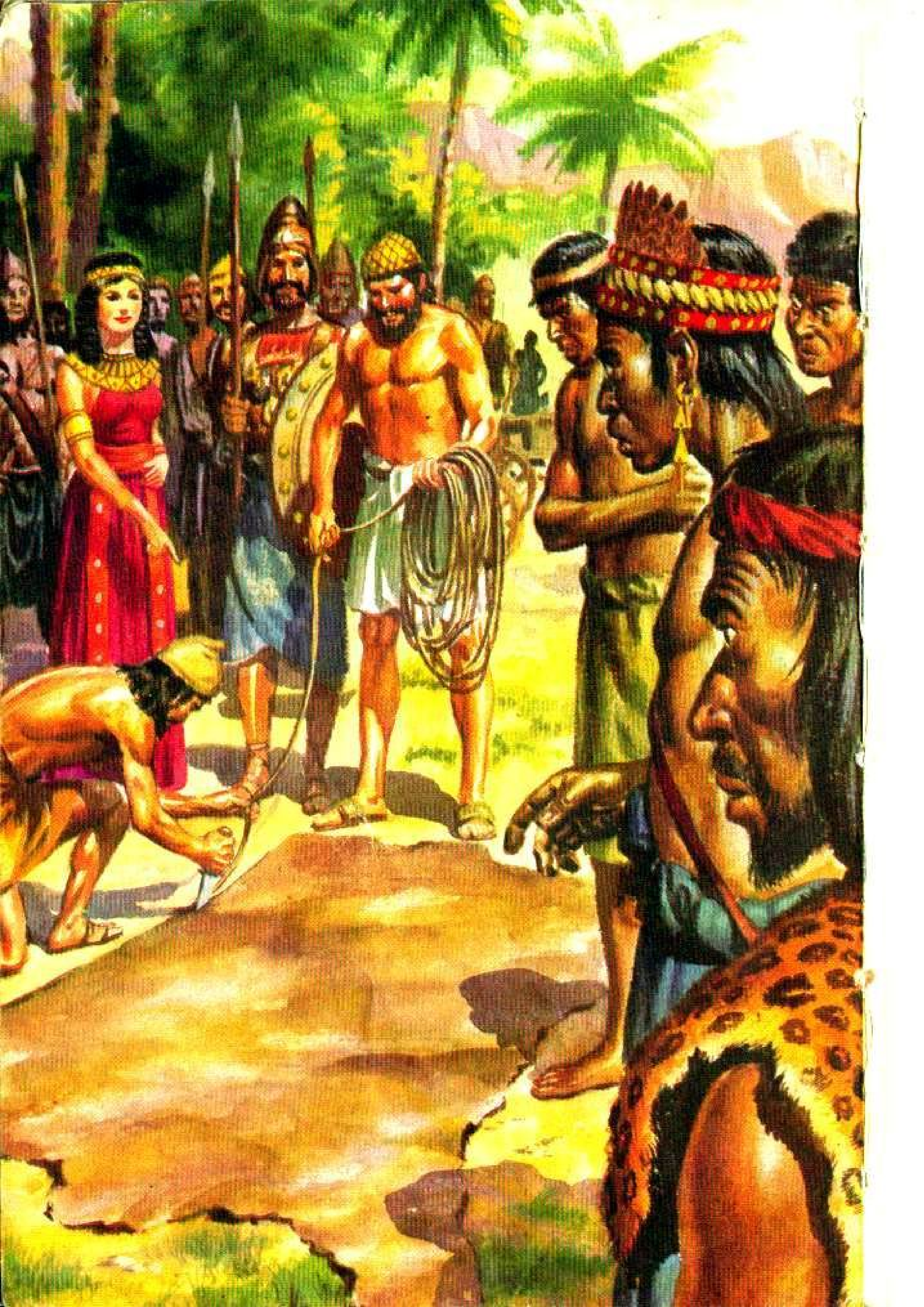
هنيبعل

كَانَتْ مِصرُ واليونانُ وَروما هي الدُّوَلَ الثَّلاثَ الكُبْرى الَّتي أَرْسَتْ مُنْذُ أَمدٍ بعيدٍ أُسُسَ الحَضَارَةِ كما نَعْرِفُها اليَوْمَ. وكَانَتْ هٰذِهِ الدُّوَلُ قَدْ تَعَلَّمَتْ بِدَوْرِها مِنَ الآخرينَ الَّذينَ تَحارَبَت مَعَهُمْ وَتَاجَرَتْ. وَمِنْهُم الفِينيقِيُّونَ الَّذين كَانُوا مِنَ الجُرْأةِ والمَهارَةِ بِحَيْثُ أَقْلَعُوا، ولأَوَّلِ مَرَّةٍ، بِمَراكِبِهِم الصَّغِيرَةِ إلى بِحارٍ مَجْهُولَةٍ وَرَاءَ مَضايِقِ جَبَلِ طارِقٍ الَّتي سَمَّاها الرُّومانُ أَعْمِدَةَ هِرَقْلَ.

وَقَبْلَ أَنْ يَغْزُوَ يُوليوسُ قَيْصَرُ بريطانيا بِزَمَنٍ بَعِيدٍ، عَبَرَ الفِينيقِيُّونَ إلى «الكَاسِيتِرايدْس»، أيْ جُزرِ القَصْدِيرِ، وَهِيَ إِمَّا بريطَانيا أو السِّيلي (عدد من الجزر الواقِعَةِ جَنوبَ غَرْبِ بريطانيا). ولمّا كانوا بَحَّارَةً فَقَدْ تَعَلَّموا الإِفادَةَ مِنَ المَدِّ وَالجَزْرِ اللَّذَيْنِ لا وُجُودَ لَهُما في البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوسِّطِ. وَلَمَّا كانوا تُجَّاراً فَقَدْ قايَضُوا ما عِنْدَهُمْ بِالقَصْدِيرِ الَّذي كانَ يَنْدُرُ وُجُودُهُ في الشَّرْقِ.

ودَأَبَ الفِينيقِيُّونَ، كَسائِرِ البَحَّارَةِ التُّجارِ، عَلَى إِنْشاءِ مَراكِزَ تِجارِيَّةٍ حَيْثُما بَدَتِ الفُرَصُ سانِحَةً. فَكَانَتْ هٰذِهِ المَراكِزُ مُنْتَشِرَةً حَوْلَ سَواحِلِ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. وكان أحدُها، وهو قَرْطاجَةُ، قد أُقيمَ على ساحِلِ إِفْريقِيا الشمالِيِّ، وبَقِيَ قروناً المَرْكَزَ التِّجارِيَّ الرَّئيسَ لِلْبَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. وَلِهذا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وُقوعِ صِدامٍ إِنْ عاجِلاً أَوْ آجِلاً بَيْنَ هٰذا المَرْكَزِ وَقُوَّةِ روما المُتَعاظِمَةِ.

تَعْتَمِدُ التِّجارَةُ فِيما وَراءَ البِحارِ عَلَى المِلاحَةِ، وَسَلامَتُها تَعْتَمِدُ عَلَى السَّيْطَرَةِ عَلَى البِحارِ. وَبَعْدَ أَنْ دَمَّرَ الإِسْكَنْدَرُ الأَكْبَرُ صُورَ سَنَةَ ٣٣٢ (قَبْلَ المِيلادِ) انْتَقَلَتْ سِيادَةُ البَحْرِ إِلَى قَرْطاجَة.

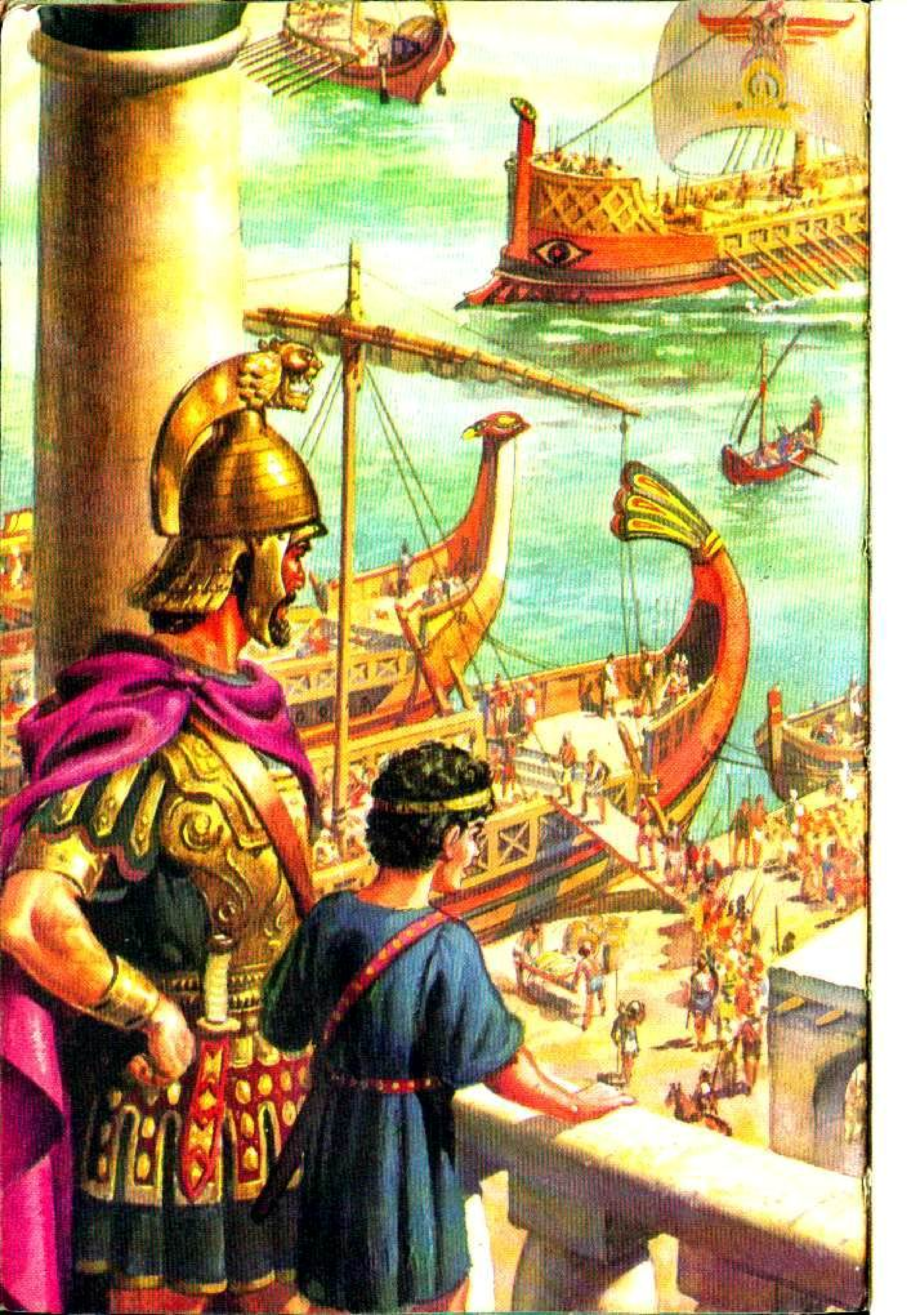


أَنْشَأَ ٱلفِينِيقِيُّونَ مَرْكَزَ قَرْطَاجَةَ ٱلتِّجارِيَّ بَيْنَ ٩٠٠ و ٨٠٠ ق. م.، أيْ قَبْلَ حَوَالَى ٱلقَرْنِ مِنْ تَأْسِيسِ رُومَا. وَهٰذَا يَعْنِي أَنَّهُ حِينَ أَصْبَحَتْ رُومَا مَكَاناً لَهُ أَهَمِّيَّتُهُ، كَانَتْ قَرْطَاجَةُ ٱلدَّوْلَةَ ٱلتِّجَارِيَّةَ وَٱلبَحْرِيَّةَ ٱلرَّئِيسَةَ في ٱلبَحْرِ ٱلأَبْيَضِ ٱلمُتَوَسِّطِ. وَعَلَى مَرِّ ٱلزَّمَنِ ٱتَّضَحَ لِلقَرْطَاجِيِّينَ أَنَّ أَهْلَ رُومَا ٱلأَشِدَّاءَ قَدْ يُصْبِحُونَ مُنَافِسِينَ خَطِرِينَ لَهُمْ عَلَى تِجَارَةِ ٱلبَحْرِ ٱلأَبْيَضِ ٱلمُتَوَسِّطِ.

وَتُفِيدُ أُسْطُورَةُ إِنْشَاءِ مَدِينَةِ قَرْطَاجَةَ أَنَّ عَدَداً مِنَ ٱلمُهَاجِرِينَ مِنْ صُورَ مُنِحُوا ٱلحَقَّ في ٱلحُصُولِ على «رُقعَةٍ مِنَ ٱلأَرْضِ يحتويها جِلْدُ ثَوْرٍ». وَلا شَكَّ أَنَّ القَصْدَ كَانَ حِرْمانَ أُولئكَ المُهَاجِرِينَ مِنَ ٱلأَرْضِ بِأُسْلُوبٍ سَاخِرٍ.

وكَانَ بَيْنَ ٱلمُهَاجِرِينَ أَمِيرَةٌ صَمَّمَتْ عَلَى ٱلبَقَاءِ. فَأَمَرَت بِتَقْطِيعِ جِلْدِ ٱلثَّوْرِ شُرُطاً رفيعةً كَرِبَاطِ ٱلحِذَاءِ. وَلَمَّا عُقِدَتْ هٰذِهِ ٱلشُّرُطُ معاً مِنْ أَطْرَافِها كانَ طُولُها كافِياً لِتَطْوِيقِ تَلَّةٍ. وَعَلَى تِلْكَ ٱلتَّلَّةِ شَيَّدَ ٱلمُهَاجِرونَ حِصْناً. وَسرْعَان ما نَشَأَتْ حَوْلَ ذلكَ الحِصْنِ مُسْتَوْطَنَةٌ عُرِفت بِاسْمِ قَرْطَاجَة – وَهُوَ ٱلتَّحْرِيفُ ٱليُونانيُّ وَٱلرومانيُّ لِٱسْمٍ قَدِيمٍ مَعْنَاهُ المَدِينَةُ ٱلجَدِيدَةُ.

كانَ القَرْطَاجِيُّونَ بَحَّارَةً وَتُجَّاراً. وَلَمْ يَكُونُوا مُزَارِعِينَ. فَعَنْ طَرِيقِ ٱلتِّجَارَةِ أَوِ ٱلغَزْوِ كَسَبُوا ٱلمَالَ لِشِرَاءِ ٱلعَبِيدِ ٱلَّذِينَ يَزْرَعُونَ ٱلأَرْضَ وَيَحْصُدُونَ غَلَّاتِها ٱلوَفِيرَةَ. وَبِما أَنَّهم لَمْ يَكُونُوا يَدْفَعُونَ لِلْعَبِيدِ أَجْراً. وكَانُوا يَبِيعُونَ ٱلحِنْطَةَ لِمَنْ يَدْفَعُ أَعْلَى سِعْرٍ. فَإِنَّ أَرْبَاحَهُم كَانَتْ عَظِيمَةً جِدّاً.

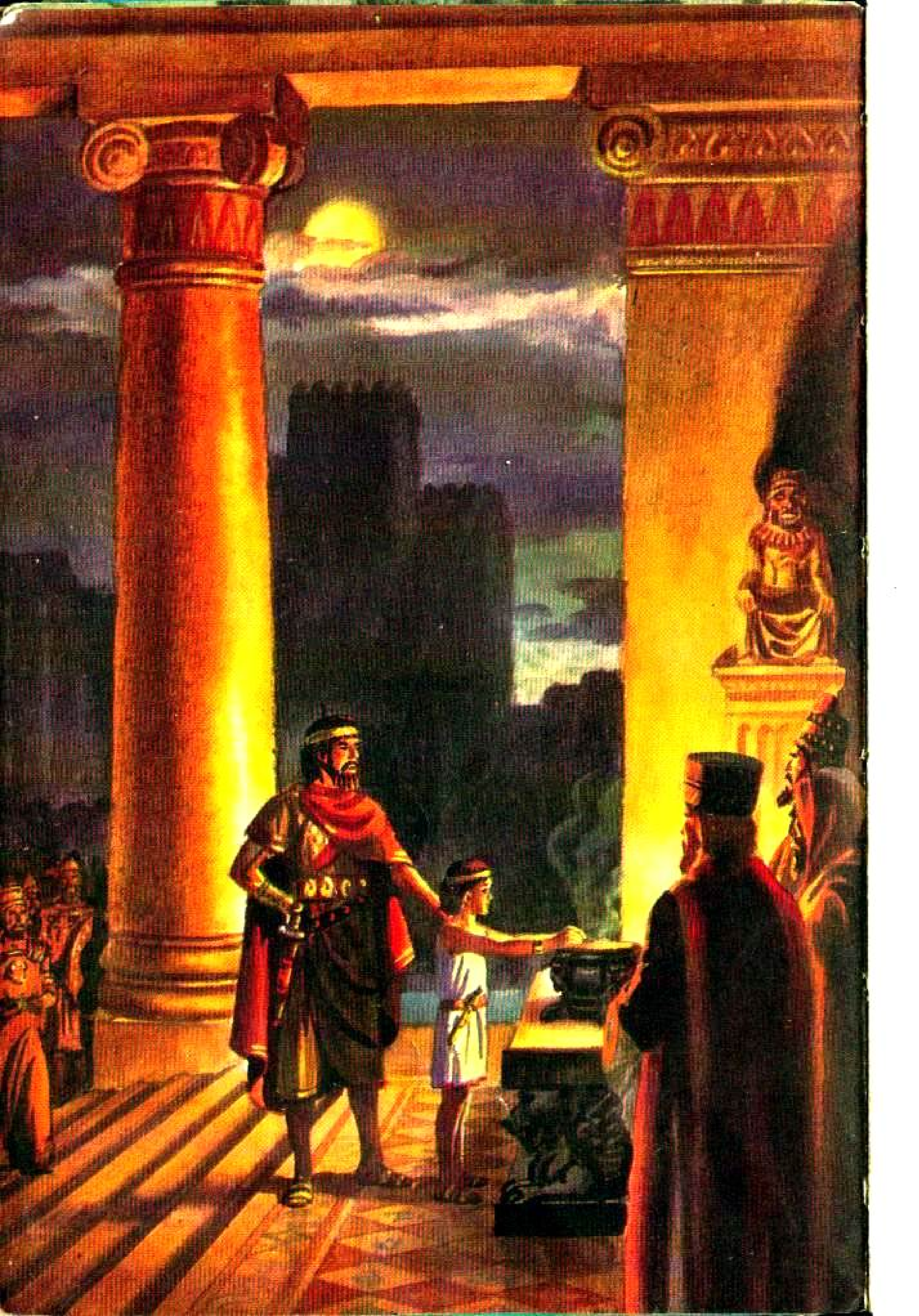


وَيَبْرُزُ في ٱلْمُجْتَمعِ ، أحياناً ، أناسٌ يَكُونُونَ أَقْدَرَ مِنْ سائِرِ ٱلقَوْمِ وأَشَدَّ. ونقولُ عن هؤلاءِ ٱلنَّاسِ عادةً بأَنَّهم زُعَماءُ بالفِطْرَةِ. وَقَدْ يُصْبِحُونَ رؤساءَ دُوَلٍ، أو دِكْتَاتُورِيِّينَ أَوْ مُسْتَشارِينَ مُتَنَفِّذِينَ أَوْ قَادَةً عُظَماءَ. وَفي ٱلتَّارِيخِ أَمْثِلَةٌ عَدِيدَةٌ عَلَى ٱنْتِقالِ مِثْلِ هذهِ ٱلقُدْرَةِ مِنْ جِيلٍ إِلى جِيلٍ.

وَيَتَحَدَّرُ وَالِدُ هَنِيبَعْل ، هَمِيلْكار بارْكا ، مِنْ أُسْرَةٍ ذَاتِ جَاهٍ وَسُلْطانٍ. وَهَميلكارُ باركا نفسهُ كانَ قائِداً مَشْهُوراً قَادَ بِنَجَاحٍ جَيْشاً ضِدَّ الرُّومَانِ في صِقِلِّيَةَ سَنَةَ ٢٤٧ ق. م. كما أَنَّهُ قَمَعَ ، في ما بعد ، تَمَرُّدَ جَماعةٍ من جُنْدِهِ انقلبُوا عَلَى قَرْطَاجَةَ.

وقد وُلِدَ هَنِيبَعْل (ٱلَّذي يَعْتَبِرُهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلمُؤَرِّخِينَ أَعْظَمَ قَائِدٍ عَسْكَرِيٍّ في ٱلتَّارِيخِ) في قَرْطَاجَةَ على ٱلأَرْجح حوالى سنةِ ٢٤٩ ق. م. وعاشَ حوالى سِتِّينَ عاماً ، إذ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ تُوفِّيَ عامَ ١٨٥ ق. م.

كانَ هَمِيلْكار بارْكا قد عَقَدَ ٱلعَزْمَ على أَنْ يُصْبِحَ وَلَدُهُ مِثْلَهُ قائِداً مُقْتَدِراً ، فاصطحَبَهُ وهو لا يزالُ صَبِيّاً في ٱلتَّاسعةِ مِنْ عُمْرِهِ ، إلى إسْبانْيا حيثُ كانَ ٱلقرطَاجِيُّونَ قَدْ أَنْشَأُوا مُسْتَعْمَرَةً لَهُمْ. وَبَدَأَ تَدْرِيبُ القائِدِ ٱلمُنْتَظَرِ لِلْجَيْشِ القَرْطَاجِيِّ في سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ. فَمَا انْ أَشْرَفَ هَنِيبَعْلُ عَلى ٱلعِشرينَ مِنْ عُمْرِهِ حَتَّى عُهِدَ إليهِ القِيامُ بِعِدَّةِ مُهِمَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ بإشرافِ وَالِدِهِ في بدايةِ الأَمْرِ، ثُمَّ بَعْدَ ذلك بإشرافِ صِهْرِهِ هَسْدْروبال ٱلَّذي تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٢١ ق. م. وحِينَذاكَ كَانَ هَنِيبَعْلُ قَدْ أَصْبَحَ ضَابِطاً مُتَمَرِّساً.

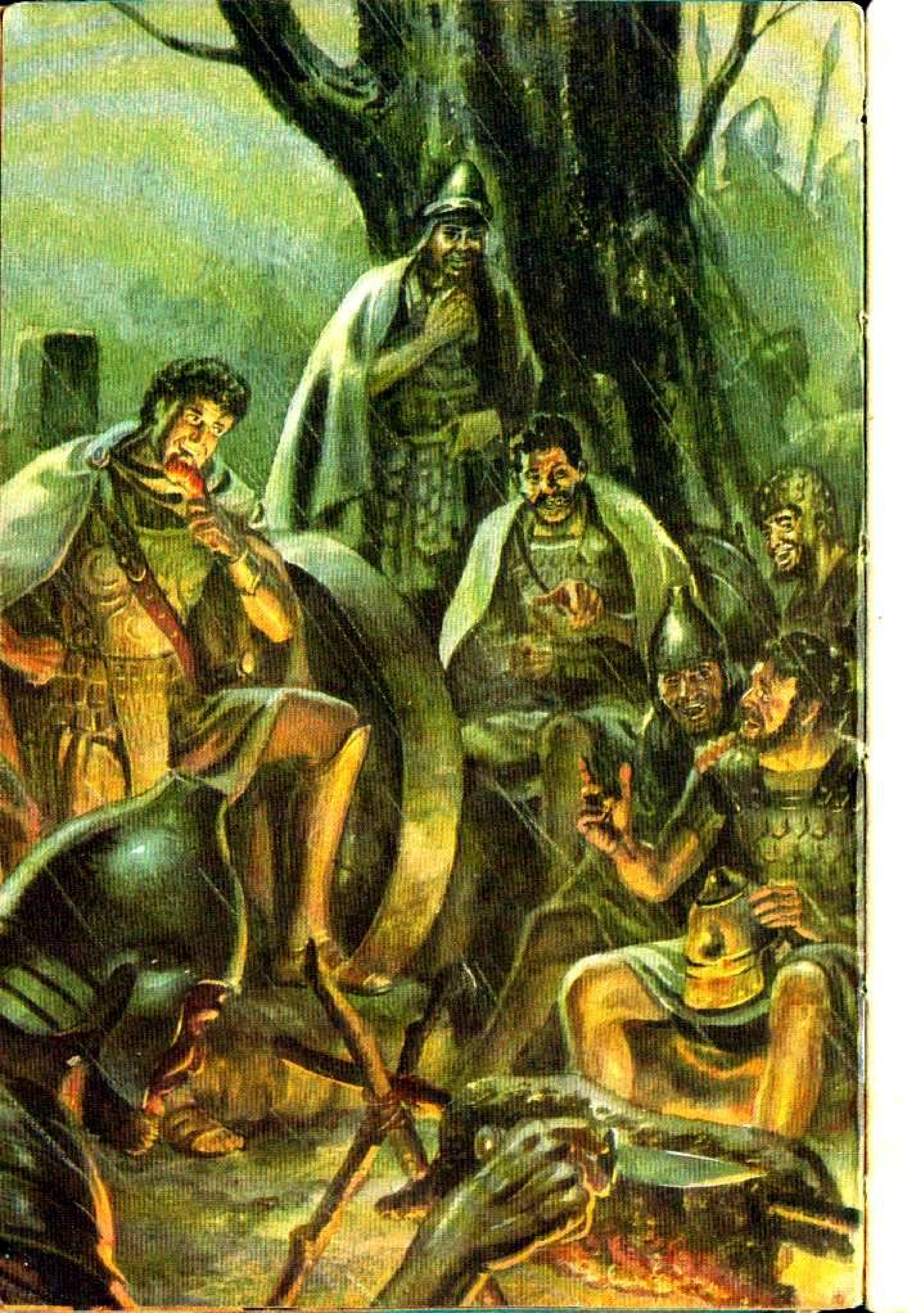


إنَّ التَّدريبَ ٱلْعَسْكَرِيَّ الشَّامِلَ ٱلَّذي تَلَقَّاهُ هَنيبَعْلُ عَلَى يَدِ وَالِدِهِ . كَانَ لِغَايَةٍ مُعَيَّنَةٍ . وَمُنْذُ أَنْ كَانَ هَنيبَعْلُ في ٱلتَّاسِعَةِ لَمْ تَغِبْ هٰذِهِ ٱلغَايَةُ عَنْ بالِهِ . فَقَبْلَ ذَهابِهِ إِلَى إِسْبانيا أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ عَهداً قَاطِعاً أَنْ يَحْقِدَ دَوْماً عَلَى رُوما وَٱلرُّومانِيِّين . كَانَ هَميلكار باركا قد عَقَدَ العَزْمَ على أَنْ يَجْعَلَ من ٱبنِهِ رَجُلاً قادراً على أَن يَستَمِرَّ في ٱلْحَرْبِ ، إذا قُتِلَ هو . وأَنْ يَكسِبَها . لِيَمْنَعَ رُوما مِن ٱلسَّيْطَرَةِ عَلَى ٱلبَحْرِ الأَبيضِ المُتَوَسِّطِ .

وَمُنْذُ أَيَّامِ يُوليوسَ قَيْصَرَ درج الكَثيرُ مِنَ ٱلقَادَةِ عَلَى تَدْوينِ سِيَرِ حَيَاتِهِمْ وَٱشْهَرِ معارِكِهِم . وَلِسوءِ ٱلحَظِّ كانَ ٱلعَديدُ مِنْهُم عَسْكَرِيِّين قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا كُتَّاباً . فَجَاءَتْ كُتُبُهُم مُمِلَّةً جِدّاً . أَمَّا يُوليوسُ قَيْصَرُ فَقَدْ كانَ ٱسْتِثْناءً . فَبِالإِضافَةِ إِلَى كَوْنِهِ قائِداً عَسْكَرِيّاً بارِزاً . كَانَ أَدِيباً تَعْرِضُ لَنا كُتُبُهُ صُورَةً حَيَوِيَّةً عَنْ حَيَاتِهِ وَأَيَّامِهِ .

كانت عبقريَّةُ هَنيبَعْل العَسْكَرِيَّةُ تفوقُ عبقريَّةَ قَيْصَر . فَهَلْ كَانَ ذلك القائِدُ أَديباً مُساوِياً لِقَيْصَر ؟ هذا مَا لن نعرِفَهُ . إذْ لم يَصِلْنا شَيءٌ مِنْ كِتاباتِهِ . وَلَكِنَّنا نَعْلَمُ مِنْ شِهادَةِ ٱلآخرينَ أَنَّهُ عامَلَ أَسْراهُ معامَلَةً تَفْضُلُ معامَلَةَ أَيِّ قائِدٍ رُومانيٍّ في زَمانِهِ . وَأَنَّهُ كانَ قائِداً ذا عَزيمَةٍ حَديدِيَّةٍ وَصَبْرٍ لا يَنْفَدُ . وَفَوْقَ هذا وَذَاكَ كانَ كلُّ ٱلَّذينَ خَدَمُوا تَحْتَ إِمْرَتِهِ يَثِقُونَ بِهِ وَيُطيعُونَهُ دُونَما سُؤال .

وَمِنْ هُنَا يُمْكِنُ ٱلافتِراضُ بِأَنَّ هَنيبَعْلَ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِشَخْصِيَّةٍ آسِرَةٍ . وَهِيَ صِفَةٌ نَادِرَةٌ ، بَلْ عَجيبَةٌ . يَتَفَاعَلُ مَعَهَا ٱلنَّاسُ بِشَكْلٍ غَرِيزِيٍّ . كَمَا أَنَّها ٱلظَّاهِرَةُ ٱلْمُمَيِّزَةُ لِمُعْظَمِ ٱلمُمَثِّلينَ وَٱلخُطَباءِ ٱلنَّاجِحينَ . وَعِنْدَما تَكُونُ الجزءَ الرَّئيسيَّ في خُلُقِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . فَإِنَّها تُوَلِّدُ نُفُوذاً طَاغِياً إِمَّا لِلخَيْرِ أَوْ لِلشَّرِّ .

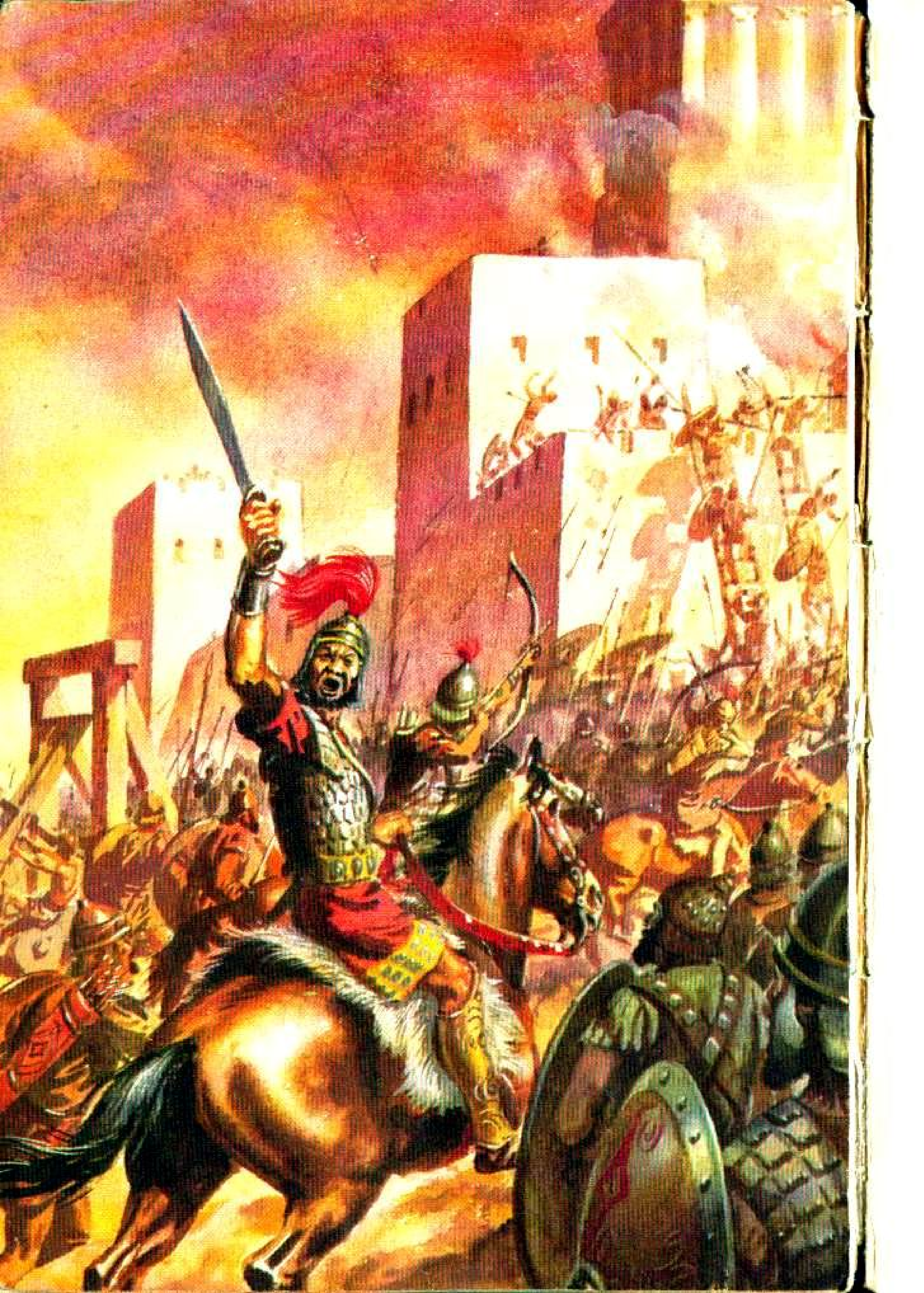


وَعِنْدَمَا ٱغْتِيلَ هَسْدْرُوبالُ كَانَ هَنِيبَعْلُ فِي السَّادِسَةِ وَٱلعِشْرِينَ من عمرِهِ تَقْرِيباً ، ومع أَنَّ تاريخَ ميلادِ هَنِيبَعْل غيرُ ثابتٍ فان ما ذكرناه عَنْ سِنِّهِ آنذاكَ ، قريبٌ جداً من ٱلصِّحَّةِ . وكانَ كُلٌّ مِنْ هَسْدْرُوبال وَهَنِيبَعْلَ قائِداً يَحظَى بِثِقَةِ ٱلجَيْشِ وَوَلائِهِ . أَمَّا هَنِيبَعْلُ فقد نَشَأَ بَينَ الجنودِ يُشارِكُهُم ٱلصِّعابَ وٱلمَخاطِرَ. أَثْبَتَ أَنَّهُ مُقاتِلٌ جَرِيءٌ وقائِدٌ ماهِرٌ ، وَفَوْقَ هذا وَذاكَ كان نِعْمَ الرَّفيق . فٱعْتَبَرَهُ رِجالُهُ وَاحِداً مِنْهُم إِلَّا أَنَّهُم لَمْ يَتَرَدَّدُوا إِطْلاقاً فِي ٱلثِّقَةِ بِهِ وَإِطاعَتِهِ كقائِدٍ.

قَدْ تَقْرَأُ فِي كُتُبٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلسِّلْسِلَةِ عَنْ قائِدَيْنِ شابَّيْنِ ناجِحَيْنِ آخَرَيْنِ هُما ٱلإسْكَنْدَرُ ٱلأَكْبَرُ ٱلَّذي ٱجْتازَ مَضِيقَ ٱلدَّرْدَنِيلِ وَهُوَ فِي ٱلثَّانِيَةِ وَٱلعِشْرِينَ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَنابُولْيُونُ ٱلَّذِي قادَ مَجْمُوعَةً ساخِطَةً مُفَكَّكَةً مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ أَلْفَ ضابِطٍ وَجُنْدِيٍّ عَلَى وَشْكِ ٱلتَّمَرُّدِ. فَوْقَ ٱلثَّلْجِ وَٱلجَليدِ عَبْرَ مَمَرَّاتِ ٱلأَلْبِ إِلَى إِيطالْيا . إِلَّا أَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُما رَصِيداً غَيْرَ الشَّبابِ.

فكانَ جُنُودُ ٱلإسْكَنْدَرِ يَتْبَعُونَهُ بِكُلِّ تَفانٍ آلافَ ٱلأَمْيالِ . وَكَانَتْ مَحَبَّةُ جُيُوشِ نابُولْيُونَ وَطاعَتُها هُما ٱللَّتانِ أَوْحَتا بِاللَّقَبِ ٱلَّذي أَطْلَقَتْهُ هٰذِهِ ٱلجُيُوشُ عَلَيْهِ وَهُوَ - ٱلعَرِيفُ ٱلصَّغِيرُ.

لا يكفي أن يكون القائِدُ قديراً لِيَكْتَسِبَ تَفانِي رِجالِهِ . فَقَدْ تَعَلَّمَ ٱلاسْكَنْدَرُ مِنْ هُجُومِهِ على إِحْدَى ٱلمُدُنِ ٱلَّتِي كانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ ٱلمالِيِّينَ ، وَتَعَلَّمَ نابُولْيُونُ عِنْدَ جِسْرِ لُودِي أَنَّ ٱلضَّابِطَ الذي يصيح بجنوده «إِتْبَعُونِي» ، مَهْما كانَتْ رُتْبَتُهُ ، لَهُوَ أَفْضَلُ قائِداً مِنَ ٱلجنرالِ ٱلَّذي يَصِيحُ بِجُنُودِهِ «تقدَّموا !» . مَهْما عَلا صَوْتُهُ .

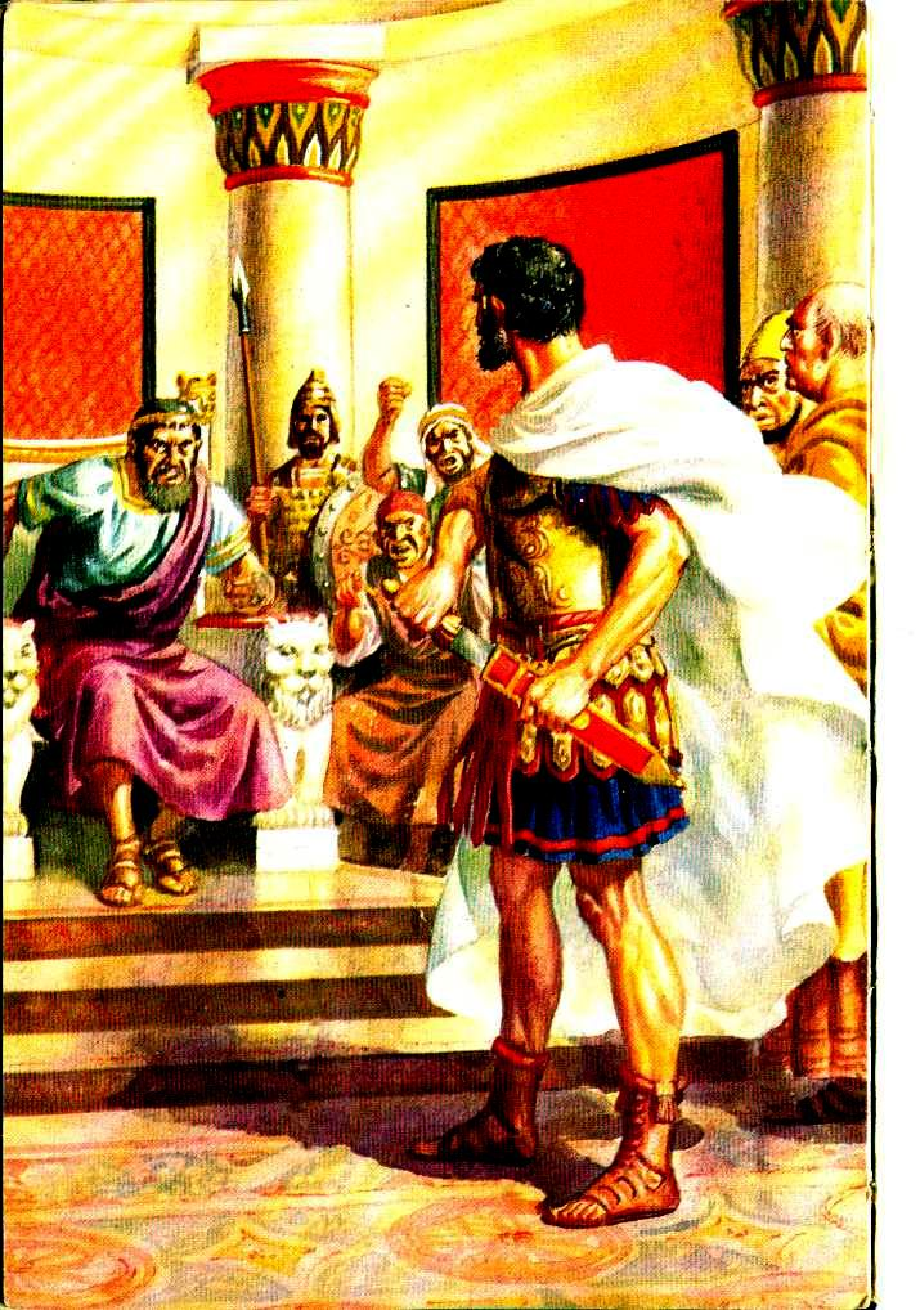


قُتِلَ هَسْدْروبَالُ وَهُوَ لا يَزالُ شَابّاً نِسْبِيّاً. وكانَ قد عقَدَ مُعاهَدَةً غيرَ مُوَفَّقَةٍ مَعَ رُوما. وتَمَّ الاتِّفاقُ بِمُوجِبِ هٰذِهِ المُعاهَدَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ نَهْرُ إبْرُو الحَدَّ الشَّمالِيَّ لِلْمُسْتَعْمَرَةِ القَرْطَاجِيَّةِ في إِسْبانيا وَأَنْ تَبْقَى البِلادُ إلى الشَّمالِ مِنَ النَّهْرِ تَحْتَ حُكْمِ رُوما. إِلا أَنَّ هُناكَ اسْتِثْناءً واحِداً وَهُوَ أَنَّ مَدِينَةَ ساغُنْتُومِ مَعَ مَرْفَئِها إلى الجَنوبِ مِنْ إبْرُو بَقِيَتْ رُومانِيَّةً.

وَإذا نَظَرْنَا إلى خارِطَةِ إِسْبانيا نَرَى أَنَّ نَهْرَ إبْرُو يَنْبَعُ مِنْ جِبالِ كَنْتَابْرا عَلَى بُعْدِ حَوالَى ثمانينَ كِيلومتراً إلى الجنوبِ مِنْ بِيلْبَاو عَلَى السَّاحِلِ الشَّمالِيِّ. وَيجْرِي بِاتِّجاهِ الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مَسافَةَ ٧٤٤ كيلومتراً لِيَصُبَّ في البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. وَعلى مَسافَةِ ١٤٤ كيلومتراً تَقْرِيباً إلى الجَنُوبِ مِنْ مَصَبِّ إبْرُو تَقَعُ ساغُنْتُوم. وَمعَ أَنَّ القِسْمَ الأَكْبَرَ مِنْ إسْبانْيا بَقِيَ مُسْتَعْمَرَةً قَرْطاجِيَّةً. فَقَدْ كانَ في وُسْعِ الرُّومانِ أَنْ يُنْزِلُوا إلى البَرِّ جَيْشاً غَازِياً وَأَنْ يُعَزِّزُوهُ مَتى شاؤوا بِاسْتِعْمالِهِمْ مَرْفَأَ ساغُنْتُوم.

وكَانَ هَمِيلْكارُ بارْكا الّذي كَرِهَ رُوما يُدْرِكُ هٰذا الخَطَرَ وَما كانَ لِيُوافِقَ أَبداً عَلَى المُعَاهَدَةِ الّتي أَجْرَاهَا هَسْدْروبال. وَيُرَجَّحُ أَنَّ سَبَبَ تَصْمِيمِهِ عَلَى احْتِلالِ إسْبانْيا كانَ الاسْتِعْدادَ لِغَزْوِ شَمالِ إيطالْيا عَبْرَ جِبالِ الأَلْبِ. وكان الأُسْطولُ الرُّومانيُّ قَد أَصْبَحَ أَقْوى بكثيرٍ مِنْ أُسْطُولِ قَرْطاجة. فاضْطُرَّ هَنِيبَعْلُ إلى احْتِلالِ ساغُنْتُوم تَفادِياً لِخَطَرِ وُجُودِ جَيْشٍ رُومانيٍّ في مُؤَخِّرَتِهِ.

وبِهٰذا خَرَقَ المُعاهَدَةَ الّتي عَقَدَهَا هَسْدْروبال. وَلَمْ يَكُنْ أَمامَهُ خيارٌ آخَرُ. فكفاءته العسكريَّةُ كانت أعظمَ من أَنْ يُعَرِّضَ نفسَه لذلك المأزِق.

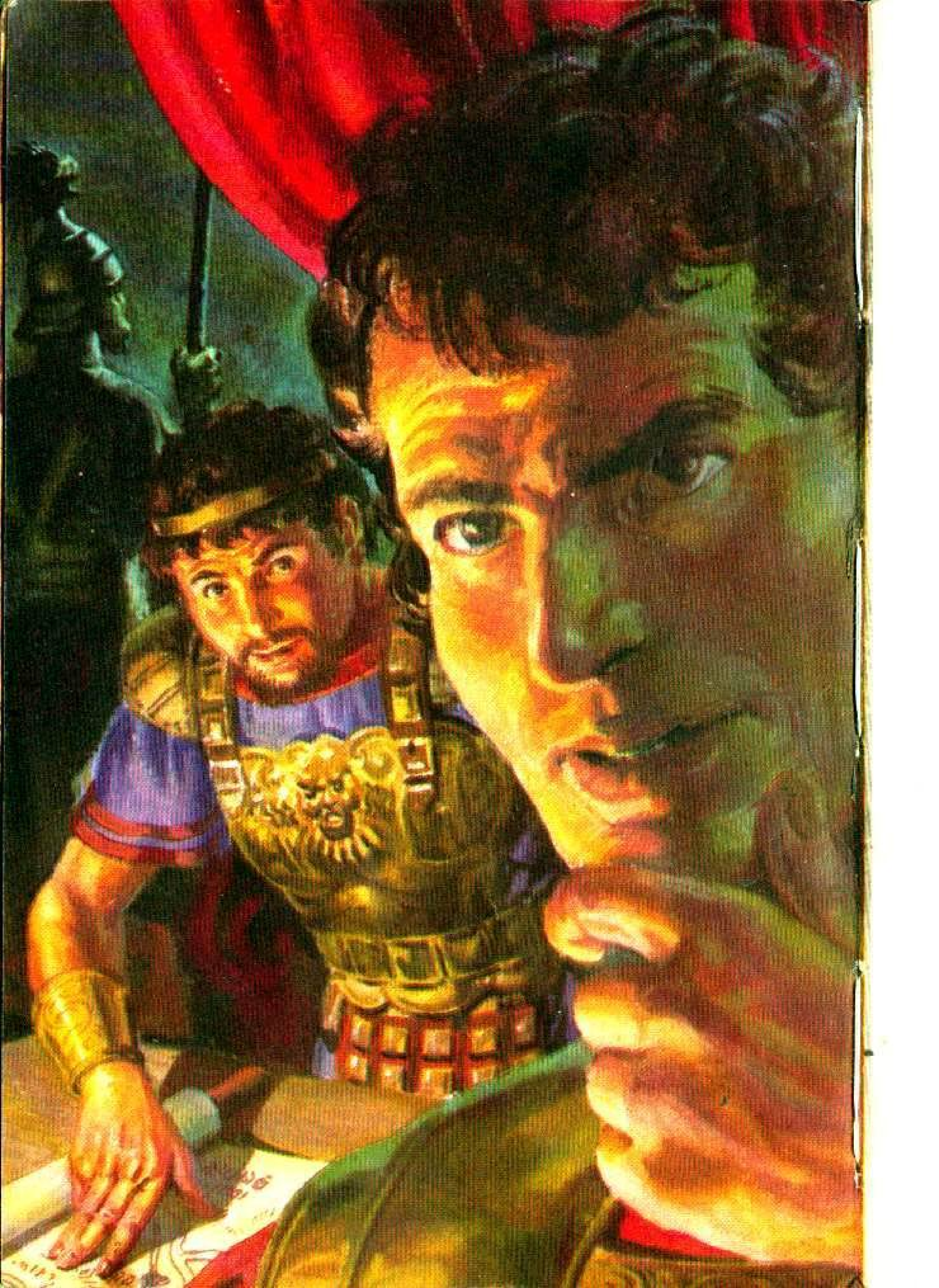


ضَرَبَ هَنِيبَعْلُ ٱلْحِصَارَ عَلَى سَاغُنْتُوم فِي رَبِيعِ سَنَةِ ٢١٩ ق . م . عَلَى ٱلرَّغْمِ مِن ٱعْتِرَاضاتِ مَجْلِسِ ٱلشُّيُوخِ ٱلرُّومانيِّ . وَبَعْدَ ثَمانِيَةِ أَشْهُرٍ سَقَطَتْ سَاغُنْتُوم فِي يَدَيهِ ، وَهَكَذَا زَالَ خَطَرُ ٱنْخِرَاطِهِ فِي قِتَالٍ فِي ٱلْمُؤَخِّرَةِ .

وَنَحْنُ مَيَّالُونَ الى أَنْ نتمثَّلَ صُورَةَ روما باعتبارِهَا امبراطوريَّةَ ٱلْقياصِرَةِ ٱلْقَوِيَّةَ . غَيْرَ أَنَّ رُوما عَامَ ٢٠٠ ق . م . كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ تَمَاماً . إنَّ هنيبَعْل ، عِندَمَا قَرَّرَ مُهَاجَمَةَ ساغنْتوم كَانَ يَتَحَدَّى عَدُوّاً يمكِنُهُ أَنْ يتغلَّب عليه .

وَٱسْتَغْرَقَ احْتِلالُ الحِصْنِ وَٱلمَرْفَإِ فِي سَاغُنْتُوم وَقْتاً أَكْثَرَ مِمَّا قَدَّرَهُ هَنِيبَعْلُ . وَسَبَبُ ذلك أن ٱلسُّفُنَ ٱلرُّومانِيَّةَ كانت قادرةً عَلَى إمدادِ المدينةِ بَحْراً بالمُؤَنِ والرِّجَالِ . وَعِنْدَمَا زَالَ خَطَرُ هذا الجَيْبِ الروماني أَصْبَحَ فِي وُسْعِ هَنِيبَعْلَ أَنْ يَزْحَفَ شَمالاً بِحُرِّيَّةٍ .

سَبَقَ لِلرُّومانِ أن أَنْذَرُوا ٱلقرطاجِيِّينَ بِأَنَّ ٱلهُجُومَ عَلَى سَاغُنْتُوم سَتَكُونُ لَهُ عواقِبُ وَخِيمَةٌ . أَمَّا ٱلآنَ فَقَدْ أَصَرُّوا عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ لَهُم هَنِيبَعْلُ أَسيراً مُقَيَّداً بِٱلسَّلاسِلِ ، وَأَنْ تَعُودَ حَامِيَةٌ رُومانِيَّةٌ إلى ٱحْتِلالِ مَرْفَإِ سَاغُنْتُوم . وقد وَقَفَ المَبعُوثُ الرومانيُّ الى قَرْطَاجَةَ أمامَ مَجْلِسِ الشُّيوخِ ٱلقَرْطاجيِّ وِقْفَةَ تَعَجْرُفٍ مُوَجِّهاً اليه تهديدَه . فكان ذلكَ مَشْهَداً مثيراً . لَقَدْ صَاحَ بِقَوْلِهِ : «جِئْتُكُمْ بِٱلسِّلْمِ أو بِٱلحَرْبِ . فَٱخْتَارُوا ! » فاجابَهُ الشُّيُوخ بِهُدُوءٍ : « ما تختاره أنت ؟ » . فَطَرَحَ السَّفِيرُ عَنْهُ عَبَاءَةَ السَّلامِ ٱلبَيْضَاءَ ووضعَ يَدَه على سيفِهِ وَصَاحَ : « هذا هُوَ رَدُّ رُوما ! »

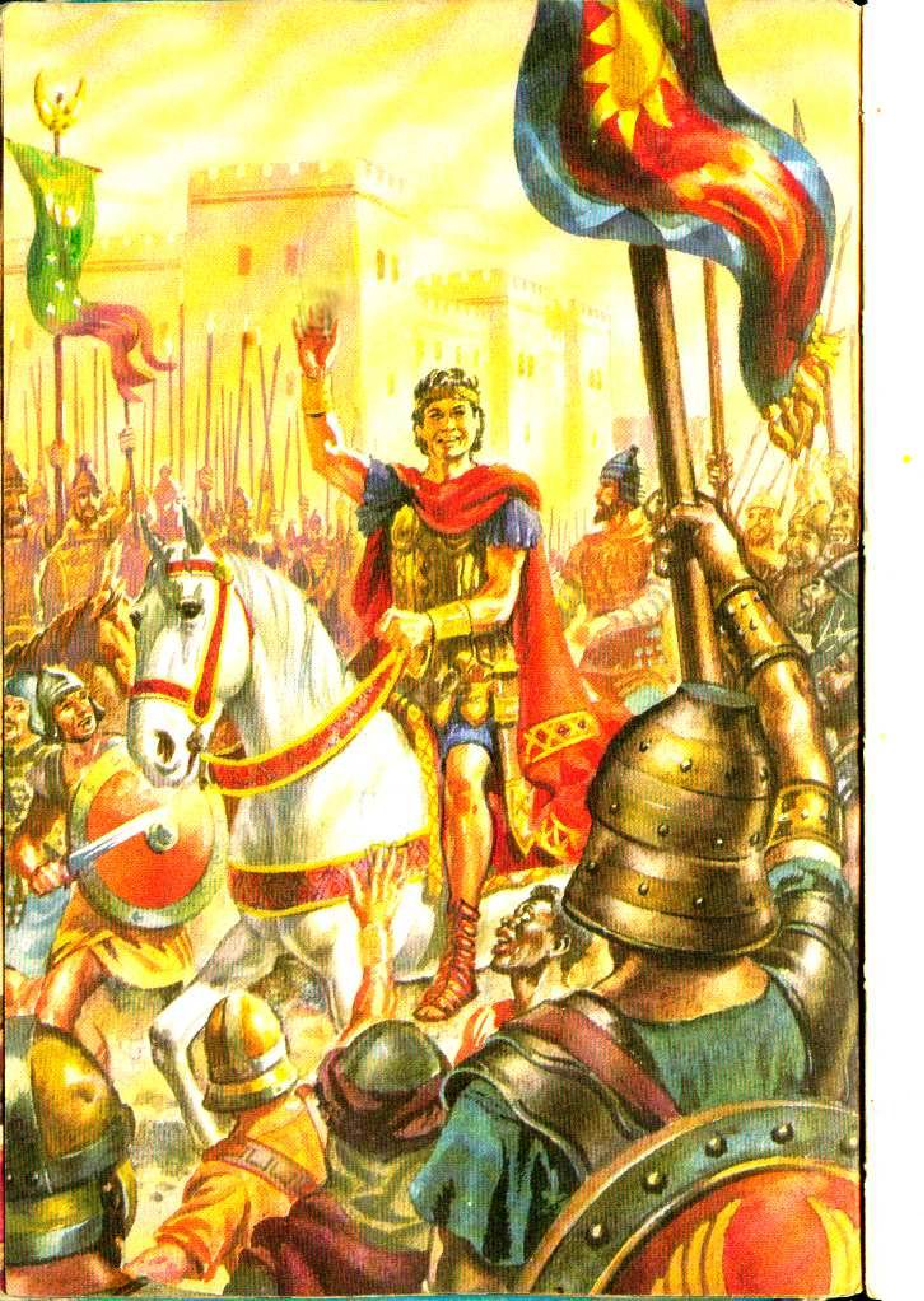


اُتُخِذَت الانهارُ عَبْرَ التَّارِيخِ حُدُوداً فاصِلَةً . فَٱجتِيازُ أَحَدِهَا إِذاً كَانَتْ لَهُ أَحْيَاناً أَهَمِّيَّةٌ . وَيَصْدُقُ هٰذا عَلَى عُبورِ قَيْصَرَ نَهرَ رُوبيكُون عِنْدَما قَالَ : « ما كانَ قَدْ كان » . يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ أَقْدَمَ عَلَى أَمْرٍ لا رُجُوعَ عَنْهُ .

وَعُبُورُ هَنِيبَعْلَ نَهْرَ إِبْرو لَهُ أَهَمِّيَّةٌ مُمَاثِلَةٌ . وقد كان هذا النَّهرُ خِلافاً لِنَهرِ رُوبيكون ، مَحْمِيّاً حِمَايَةً قوِيَّةً . وَمَا انْ أَصْبَحَ هَنِيبَعْلُ عَلَى ضِفَّتِهِ ٱلأُخْرَى حَتَّى أَدْرَكَ أَنَّهُ سَيُواجِهُ مِئَاتِ الكيلومترات مِنَ ٱلأَرْضِ ٱلشَّدِيدَةِ ٱلوُعُورَةِ وَسِلْسِلَتَيْنِ مِنَ الجِبالِ هُما ٱلبيرينه وَالأَلْب . وَنَهْرُ الرُّون . ٱلمَعْبَرُ ٱلحَصِينُ ٱلآخَرُ . يَمُرُّ بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلسِّلْسِلَتَيْنِ . وكَانَتْ طَرِيقُهُ . عَمَلِيّاً . تَمُرُّ عَبْرَ أَراضٍ تَقْطُنُهَا ٱلقَبائِلُ ٱلسِّلْتِيَّةُ ٱلمُعَادِيَةُ مَعَ وُجودِ حَامِيَاتٍ رُومَانِيَّةٍ في مَوَاقِعَ رَئِيسِيَّةٍ .

وَلا نَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ ٱلتَّحْقِيقِ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّتِي سَلَكَهَا هَنِيبَعْلُ . وَحَتَّى في أيامنا هٰذِهِ فإِنَّ ٱلسَّيْرَ مِنْ طَرْطُوشَةَ على نَهْرِ إِبْرو إلى روما لَيْسَ بالأَمْرِ اليَسِيرِ . وَلَكَ ان تتخَيَّلَ ما كانَ عَلَى ٱلجُنُودِ أَنْ يُلاقُوهُ في أَيَّامِ هَنِيبَعْلَ وَمَعَهُم عَرَبَاتٌ تَجُرُّها ٱلثِّيرانُ وَفِيَلَةٌ تَحمِلُ ٱلمُؤَنَ . بِالإِضافَةِ إِلى خَطَرِ وُقُوعِ هُجومٍ عَلَيهِم مِنْ جانِبِ قَبَائِلَ مُتَوَحِّشَةٍ ترميهم بِالصُّخورِ .

وكَانَ لِهَنِيبَعْل أَخٌ أَصْغَرُ مِنْهُ اسْمُهُ هَسْدْرُوبال باركا - ونذكُرُ أَنَّ صِهْرَهُ الذي مات غيلةً كان اسمُهُ أيضاً هَسْدْرُوبال . وكَانَ هَسْدْرُوبال باركا كذلك ضابطاً مُدَرَّباً . وَيُمْكِنُنا أَنْ نَتصَوَّرَ ٱلأَخَوَيْنِ عاكِفَيْنِ عَلَى دِراسَةِ ٱلخُطَطِ ٱلَّتي وَضَعَهَا وَالِدُهُمَا هَمِيلْكار . لَقَدْ وَاجَهَ ٱلقائِدانِ ٱلشَّابانِ حَملَةً عَسْكَرِيَّةً غَايَةً في ٱلصُّعوبةِ . وكَانَ هَمِيلكار يُلَقِّبُ هَسْدْرُوبال وَهَنِيبَعْل بِأَنَّهما « شِبلا ٱلأَسَدِ » . وَسُرْعَانَ ما أَثْبَتا أَنَّهُ كانَ عَلَى صَوابٍ .

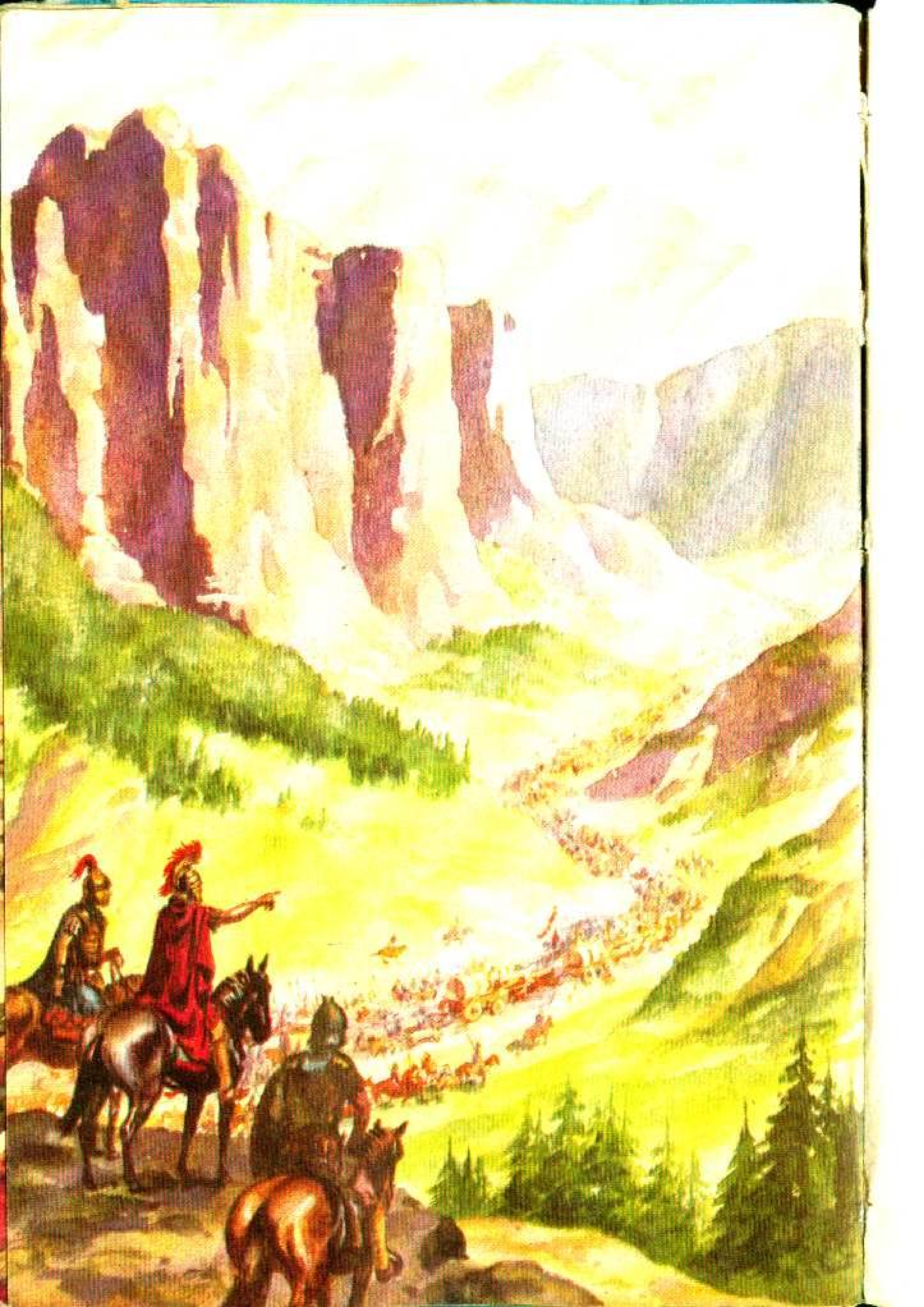


إنَّ صُعوباتِ ٱلسَّيْرِ ٱلطَّوِيلِ مَعَ ٱلتَّعَرُّضِ لِلْهُجُومِ ٱلمُسْتَمِرِّ تكفي لِثَنْيِ قائِدٍ دونَ هنيبَعْل عَزِيمَةً عن غايتِهِ . غَيْرَ أَنَّ هَنِيبَعْل كَانَ قَدْ أَقْسَمَ يَمِيناً قَاطِعَةً بِأَنْ يُوَاصِلَ الحَمْلَةَ عَلَى رُومَا . وكان يعتقِدُ اعْتِقَاداً رَاسِخاً أَنَّ الحِنْثَ بِهٰذِهِ ٱليَمِينِ سَيُسَبِّبُ كَارِثَةً .

وَكَانَ ٱلجَيْشُ ٱلَّذِي تحتَ إِمْرَتِهِ سَبَباً أَكْبَرَ لِلقَلَقِ . فَرِجَالُهُ متنوِّعون أجناساً وألواناً . فَمِنْ فُرْسَانٍ نُوميديِّينَ مِنْ إفريقيا إلى غَالِيِّين مِنْ إسْبانيا – لُغَاتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ وأَساليبُهم في ٱلقِتالِ مُتَفاوِتَةٌ جداً ، كَما أَنَّهُم مِنْ بُلْدانٍ يُنَاصِبُ بَعْضُها بَعْضاً ٱلعَداوَةَ ٱلمَرِيرَةَ . فكانُوا يُحَارِبُونَ كَجُنُودٍ مُرْتَزِقَةٍ . أَيْ فِي سَبيلِ ٱلأَجْرِ ، وَهُوَ ضَئِيلٌ جِداً ، وَطَمَعاً بِٱلأَسْلابِ ، وَهِيَ كَبِيرَةٌ إذا قُيِّضَ لَهُمُ ٱلنَّصْرُ .

أَمَّا ٱلجَيْشُ ٱلرُّومانيُّ فكَانَ بِٱلمُقَابِلِ مُؤَلَّفاً فِي مُعْظَمِهِ مِنْ رِجَالٍ متجانسين عِرْقاً ولُغَةً وَفَوْقَ ذٰلِكَ كَانُوا يُقَاتِلونَ دِفَاعاً عَنْ وَطَنِهِمْ بِبَسالَةِ ٱلجُنُودِ ٱلمُدَرَّبِينَ وَوَلاءِ ٱلمُواطِنِين . فَكَانَتْ حُروبُ ٱلطَّرَفَيْنِ صِراعاً بَيْنَ ٱلوَطَنِيَّةِ وَٱلطَّمَعِ .

وَلَمْ يَكُنْ هَنِيبَعْلُ ٱلَّذِي بَلَغَ مِنَ ٱلخِبْرَةِ ٱلعَسْكَرِيَّةِ شَأْواً بَعِيداً لِيُسْقِطَ كُلَّ هٰذِهِ ٱلأُمورِ مِنْ حِسَابِهِ . فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ ٱلكَثِيرَ مِنْ رِجَالِهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعُهُمْ ، لَيْسُوا مُدَرَّبِين ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُنَظَّمِينَ تَنْظِيماً حَسَناً . وَلَمْ يَأْلَفُوا ٱلانْضِبَاط ، وَأَنَّهُمْ يُحَارِبُونَ فِي سَبِيلِ دَوَافِعَ دونَ دَوَافِعِ ٱلرُّومَانِ رُسُوخاً . وَلِهٰذَا فَإِنَّهُ ٱتَّكَلَ على شيءٍ آخَرَ . فَقَدْ كَانَ جَيْشُهُ مُؤَلَّفاً مِنْ رِجَالٍ ، مَهْمَا تَكُنْ كَرَاهِيَةُ أَحَدِهِمْ لِلآخَرِ ، مُخْلِصِينَ كُلَّ ٱلإِخْلاصِ لِشَخْصِهِ . وَهٰذَا ٱلعَامِلُ هُوَ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱلمُعَادَلَةَ مُخْتَلِفَةً كُلَّ ٱلاخْتِلافِ .

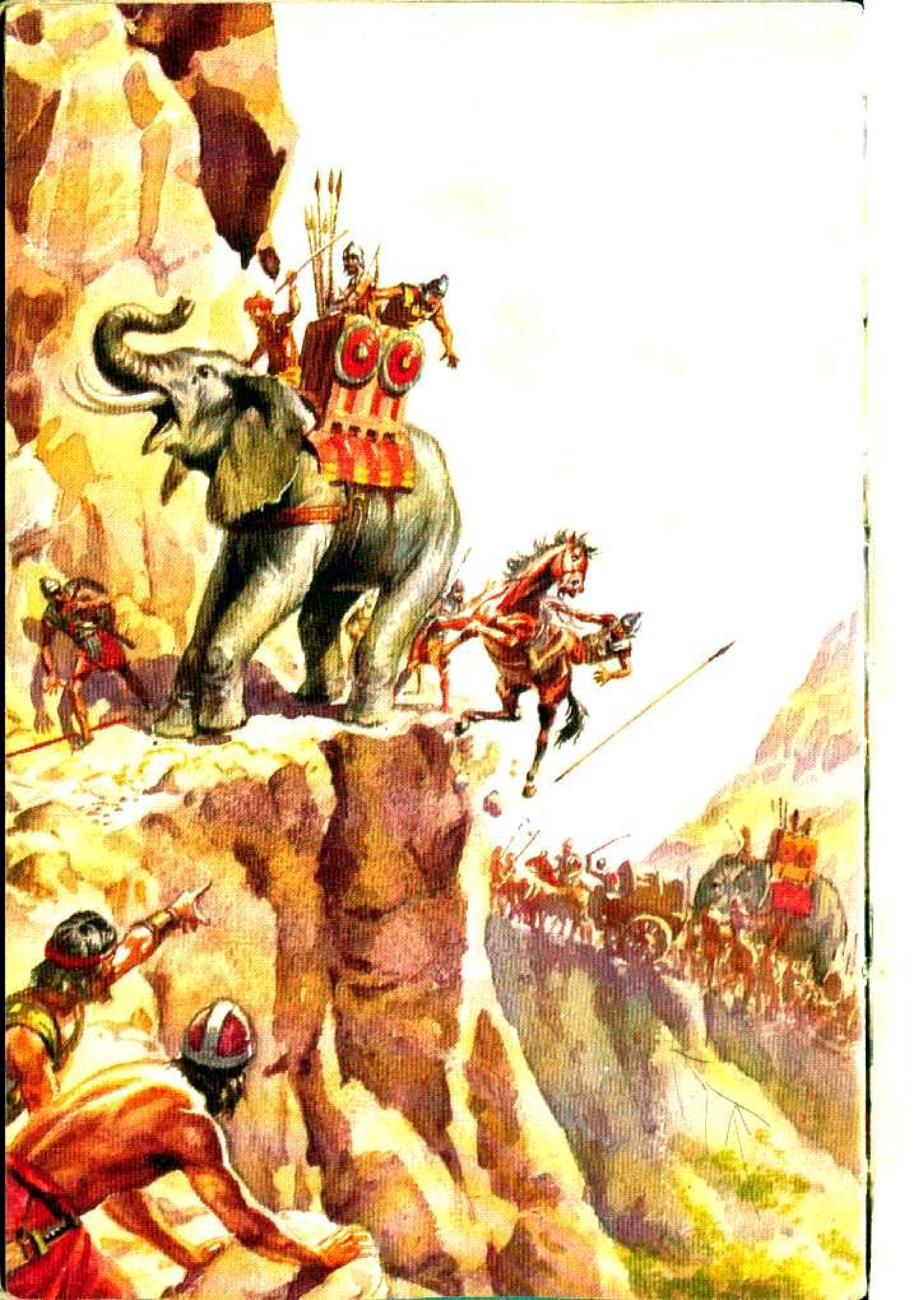


عَلَى قَائِدِ ٱلجَيْشِ ٱلعَصْرِيِّ ٱلَّذِي يُخَطِّطُ لِلتَّقَدُّمِ أَنْ يَعْرِفَ سَلَفاً ما إِذَا كَانَت ٱلطَّرِيقُ عَرِيضَةً وَٱلجُسُورُ قَوِيَّةً إِلَى حَدٍّ يَكْفِي لِمُرُورِ دَبَّابَاتِهِ أَوْ مَدافِعِهِ ٱلضَّخْمَةِ . فَيَدْرُسُ ٱلخَرَائِطَ وَٱلصُّوَرَ ٱلمُلتَقَطَةَ مِنَ ٱلجَوِّ وَتَقارِيرَ الجَواسِيسِ ، بَلْ والصُّوَرَ ٱلَّتِي يَلْتَقِطُها ٱلسُّيَّاحُ لِلْمَسَابِحِ وَٱلشَّواطِىءِ ٱلصَّخْرِيَّةِ .

إِنَّ فُرَصاً كَهٰذِهِ لَمْ تَكُنْ مُتَوَفِّرَةً لِهَنِيبَعْلَ . فَٱلجَواسِيسُ لَمْ يَكُونُوا مَصْدَرَ ثِقَةٍ . وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ خَرَائِطُ لِطُرُقٍ حَيْثُ لَا وُجُودَ لِلطُّرُقِ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِ أَحَدٍ أَنَّ مِنَ ٱلمُفِيدِ رَسْمَ خَرائِطَ لِدُروبٍ بَيْنَ قَرْيَةٍ وَأُخْرَى . فَٱلقِلَّةُ مِنَ السُّكانِ ٱلمَحَلِّيِّينَ ٱلَّذينَ كانوا يَستخدمون هٰذِهِ ٱلدُّروبَ كَانُوا يَبْلُغُونَ مَقَاصِدَهُمْ أَوْ لا يَبْلُغُونَها . وكانَ ٱلنَّاسُ يفترضونَ أَنَّ الذين لم يَصلوا ذَهَبوا فَريسَةَ ٱلذِّئاب . ولَو أَنَّ مِثْلَ تِلْكَ الخَرائِطِ وُجِدَت لما كان لها فائِدَةٌ عمليةٌ .

لَمْ يَكُنْ لِهَنِيبَعْلَ بِطَبيعة ٱلحالِ دَبَّاباتٌ ، بَلْ فِيَلَةٌ وَعَرَبَاتٌ ثَقِيلَةٌ غَيرُ مُتْقَنَةِ ٱلصُّنْعِ تَجُرُّها مَجْمُوعاتٌ مِنَ ٱلثِّيرانِ . فَكَانَ جَحْفَلُهُ مِنَ ٱلمُشاةِ وَٱلفُرْسانِ وَعَرَبَاتِ ٱلتَّمْوِينِ يَمْتَدُّ أَمْيالاً . وَحَيْثُما يَكُونُ مَوْقِعُ قَائِدِ ٱلجَيْشِ ، لَم يَكُنْ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَعْرِفَ يَقِيناً مَاذَا يَحْدُثُ لِجُزْءٍ مِنَ ٱلجَحْفَلِ عَلَى بُعْدِ عَشَرَةِ كيلومتراتٍ أو عِشرينَ كيلومتراً مِنْهُ .

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ لَدَى هَنِيبَعْلَ ضُبَّاطٌ فُرْسَان يَعْدُونَ عَلَى طُولِ ٱلجَحْفَلِ يُنَفِّذُونَ أَوامِرَهُ أَوْ يُزَوِّدُونَهُ بِأَخْبَارِ أَيِّ هُجُومٍ . وَرُبَّمَا ٱسْتَغْرَقَتْهُم ٱلعَوْدَةُ عَبْرَ ٱلدُّرُوبِ ٱلصَّخْرِيَّةِ ٱلمُتَقَطِّعَةِ ساعَاتٍ عِدَّةً ، هٰذا إِذَا تمكَّنُوا مِنَ ٱلعَوْدَةِ . وَقَدْ يَتَعَذَّرُ عَلَى ٱلفِيلِ أنْ يجتازَ مَمَرّاً جَبَلِيّاً ضَيِّقاً شُقَّ عَلَى جَانِبٍ شَدِيدِ الانْحِدار .



عَبَرَ هَنيبَعْلُ نَهْرَ إِبْرو بينَ أَواخِرِ شَهْرِ أَيّار (مايو) وَأَوائِلِ شَهْرِ تَمُّوز (يُولْيُه). وكانَ أَمَلُهُ أَنْ يَجْتازَ ٱلنَّهْرَ دُونَ كَبيرِ صُعُوبَةٍ. غَيْرَ أَنَّ ٱلقَبائِلَ ٱلسَّلْتِيَّةَ، رَغْمَ عَداوَتِها لِرُوما، لَمْ تَكُنْ مُسْتَعِدَّةً لِلتَّرْحيبِ بِجَيْشٍ قَرْطاجِيٍّ. ولا شَكَّ أَنَّ ٱجْتِيازَ هٰذِهِ ٱلعَقَبَةِ الكَأْداءِ ٱلأُولَى في مَسيرَةٍ طَويلَةٍ قَدْ عَلَّمت ٱلجَيْشَ ٱلقَرْطاجِيَّ ٱلمُخْتَلَطَ ٱلشَّيْءَ ٱلكَثيرَ.

وَمِنَ ٱلمُهِمِّ حينَ مُطالَعَةِ حَمْلَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ، سَواءٌ في ٱلزَّمَنِ ٱلقَديمِ أَو ٱلحَديثِ، أَنْ نَتَتَبَّعَ عَلَى ٱلخارِطَةِ ٱلطَّريقَ ٱلَّتي سَلَكَتْها الحَمْلَةُ. وَإِذا كانَت ٱلخارِطَةُ عَلَى نَحْوٍ يُظْهِرُ تضاريسَ ٱلبِلادِ من أَنْهارٍ وجِبالٍ وسُهُولٍ بالأَلوانِ، أَمْكَنَ تَصَوُّرُ ما كانَتْ عَلَيْهِ ٱلحالُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَي سَنَةٍ. لَمْ تَكُنْ هُناكَ، في ذلكَ العَصْرِ، طُرُقٌ مُعَبَّدَةٌ وَسِكَكٌ حَديدِيَّةٌ وَمُدُنٌ وَمَطاراتٌ غَيْرَ أَنَّ ٱلجِبالَ وَٱلأَنْهارَ هِيَ نَفْسُها لَمْ تَتَغَيَّرْ.

وَإِذا تَناوَلْنا أَيَّ أَطْلَسٍ فَإِنَّهُ يَدُلُّنا عَلَى أَنَّهُ كُلَّما ٱقْتَرَبَ هَنيبَعْلُ مِنَ ٱلسّاحِلِ زادَتْ طَريقُهُ سُهُولَةً. فَجِبالُ ٱلبيرينه لَيْسَتْ بِٱرْتِفاعِ جِبالِ ٱلأَلْبِ وليست بصعوبتها عِنْدَ ٱلاجْتِيازِ. وَمِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ يَسْلُكَ هَنيبَعْلُ أَسْهَلَ ٱلسُّبُلِ.

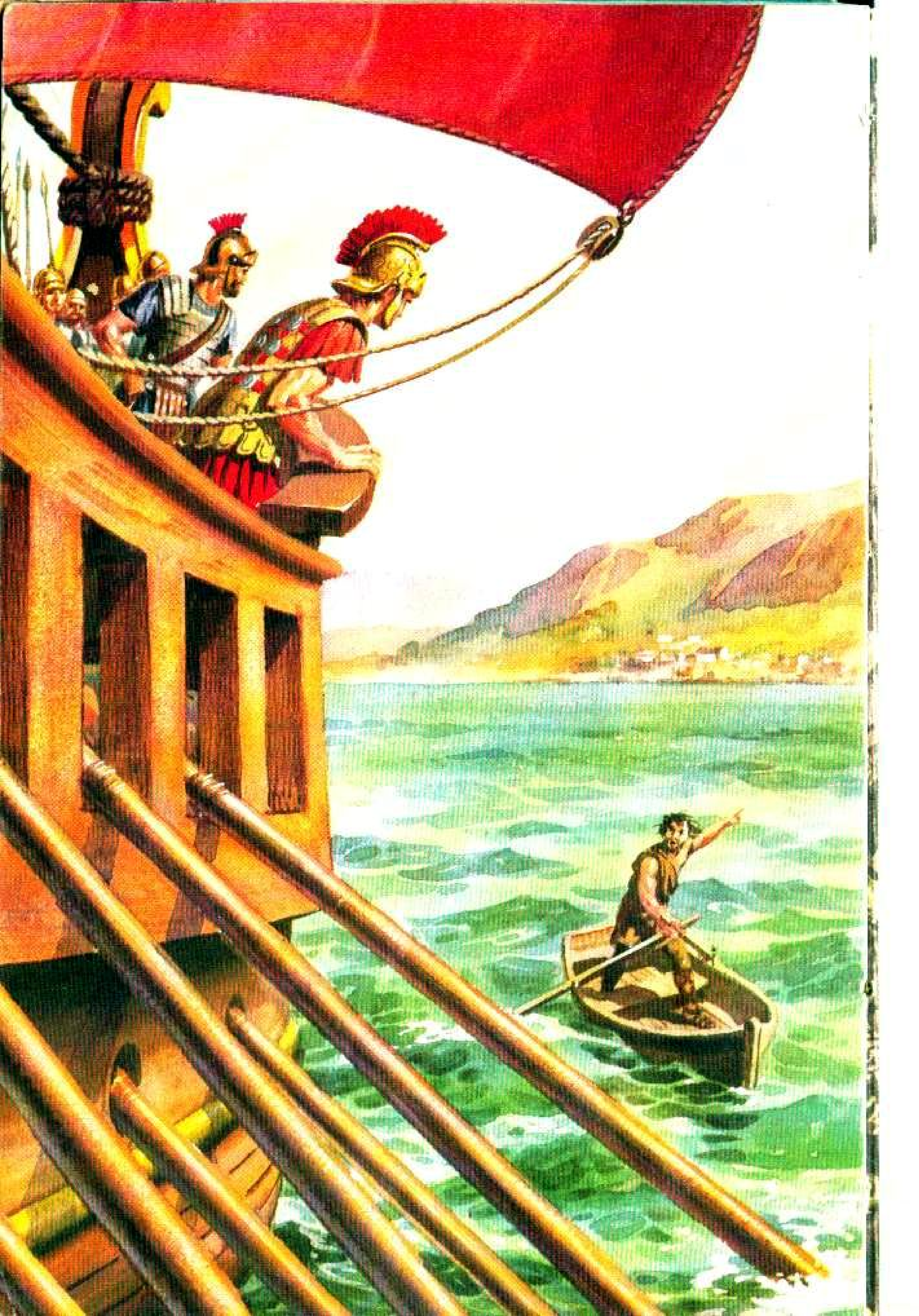
وَإِذا تَتَبَّعْنا عَلَى ٱلخارِطَةِ مَمَرَّ ٱلخَطِّ ٱلحَديدِيِّ بَيْنَ طَرْطُوشَةَ في إِسْبانيا وَبيربينيا في فَرَنْسا، فَمِنَ ٱلمُرَجَّحِ أَنْ لا نَكُونَ بَعيدينَ جِدّاً عَنْ خَطِّ سَيْرِ هَنيبَعْلَ وَأَفْيالِهِ. وَمَعَ أَنَّ ٱلأَفْيالَ تَكُونُ مُفيدَةً جِدّاً في غالِبِ ٱلأَحْيانِ، فَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَنيبَعْل قَدْ تَمَنَّى أَحْياناً لَوْ أَنَّهُ لَم يَجْلِبْها مَعَهُ. وَلَوْ سَأَلْنا أَيّاً كانَ عَمّا يعرفُ عَنْ هَنيبَعْلَ لَكانَ جَوابُهُ عَلَى ٱلأَرجَحِ أَنَّهُ ذاكَ ٱلَّذي عَبَرَ جِبالَ ٱلأَلْبِ بِعَدَدٍ مِنَ ٱلفِيَلَةِ.



إنَّ الأَرْضَ المُمْتَدَّةَ مِنْ نَهْرِ إبْرُو إلَى جِبالِ البيرينه لَيْسَتْ صَعْبَةً جِداً عَلَى جَيْشٍ يَزِيدُ تَعْدادُهُ عَلَى مِئَةِ أَلْفِ رَجُل ، مِنْهُمْ حَوالَى اثْنَي عَشَرَ أَلفاً مِنَ الفُرْسانِ. فَهِيَ أَرْضٌ مِنْ نوعٍ أَلِفُوهُ. وَمِنَ الأَعْمالِ الَّتي يَقُومُ بِها أَيُّ جَيْشٍ حَتَّى فِي يَوْمِنَا الحاضِرِ، تَنْظِيفُ الطَّرِيقِ عَبْرَ الأَراضي الوَعْرَةِ. وَفي هٰذا المَجالِ بالذَّاتِ وَجَدَ هَنِيبَعْلُ قُوَّةَ الأَفْيالِ مُفِيدَةً جِدّاً. فَقَدْ أَزالَتِ الحِجارَةَ الكَبِيرَةَ وَالأَشْجارَ السَّاقِطَةَ الَّتي كانَتْ تَسُدُّ طَرِيقَ العَرَباتِ الَّتي تَجُرُّها الثِّيرانُ. كَما انَّ الأَفْيالَ كانَت تَنْتَشِلُ العَرَباتِ إذا ما عَلِقَتْ في أَوْحالِ المُسْتَنْقَعاتِ وَعَجِزتِ الثِّيرانُ عَنْ سَحْبِهَا.

وكَانَ أَمَلُ هَنِيبَعْلَ أَنْ لا يَخْسَرَ رِجالاً أَوْ وَقْتاً قَبْلَ وُصُولِهِ إلَى حاجِزِ جِبالِ الأَلْبِ. إلّا أَنَّهُ نَجَحَ نَجاحاً جُزْئِيّاً في ذٰلِكَ. فَقَدِ اسْتَطاعَ اسْتِمالَةَ بَعْضِ القَبائِلِ الَّتي صادَفَهَا عَنْ طَرِيقِ الإقْناعِ أوِ الرِّشْوَةِ لِتَسْمَحَ لِجَيْشِهِ بِالمُرُورِ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهَا الآخرَ عَمَدَ إلَى مَا نُسَمِّيه اليومَ بِحَرْبِ العِصاباتِ. وَلِمُعالَجَةِ هٰذِهِ القَبائِلِ وَالتَّأَكُّدِ مِنَ اسْتِتْبابِ الأَمْنِ فِي المَناطِقِ الَّتي يَتْرُكُها هَنِيبَعْلُ وَراءَهُ، أَفْرَزَ قُوَّةً مِنْ قُرَابَةِ عَشَرَةِ آلافِ رَجُلٍ لِهٰذا الغَرَضِ.

وَيُرَجَّحُ أَنَّ الجَحْفَلَ الغازِيَ الطَّوِيلَ البَطِيءَ وَالمَكشُوفَ الجَوانِبِ قَدِ اجْتازَ سُفوحَ البيرينه مِنْ مَمَرٍّ يُعْرَفُ بِاسْمِ كُول دي بانول. وَلَيْسَ مِنْ سَبِيلٍ لِلتَأَكُّدِ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذي سَلَكَهُ هَنِيبَعْلُ. وَلكِنْ لا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ كانَ يَرْغَبُ في البَقاءِ قُرْبَ السَّاحِلِ قَدْرَ المُسْتَطاعِ. وَاليَوْمَ تَمُرُّ الخُطُوطُ الحَديدِيَّةُ عَبْرَ الأَنْفاقِ في الجِبالِ. أَمَّا هَنِيبَعْلُ فَكانَ مُضْطَرّاً لِلمُرُورِ فَوْقَ القِمَمِ أَوْ عَبْرَ المَغاوِرِ الصَّخْرِيَّةِ.

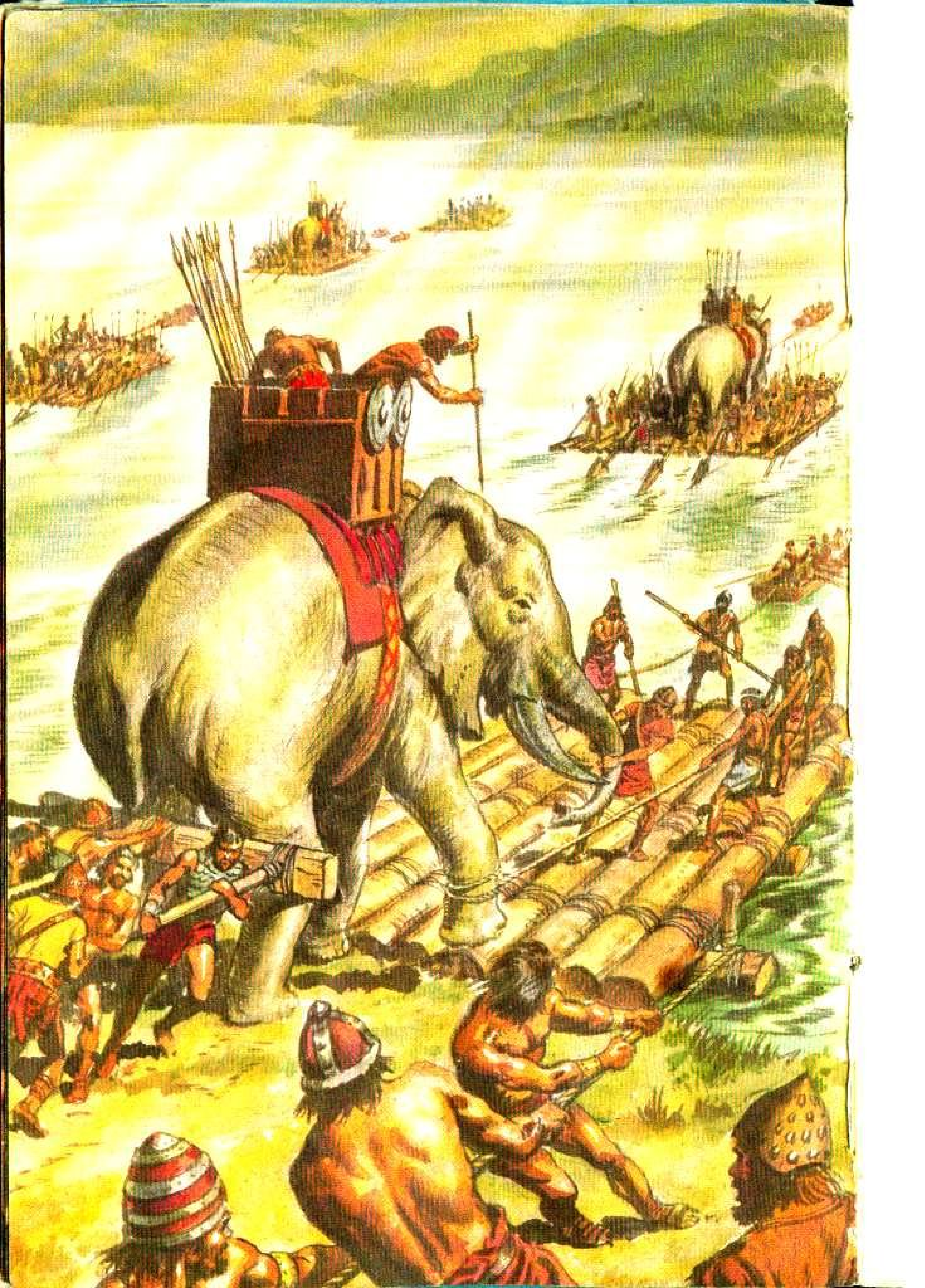


وفي هذهِ ٱلأثْنَاءِ أَرْسَلَ ٱلرُّومانُ أُسْطُولاً بِقِيَادَةِ بوبليوس سيبيو لِغَزْوِ إِسْبَانيا . وكَانَ ٱلقَصْدُ ٱلاتِّصال بِجَيْشٍ رُومانيٍّ آخرَ يَعْبُرُ ٱلبِلادَ مِنْ إِفْرِيقيا . وَعَلَى طَرِيقِ ٱلسَّاحِلِ ٱلفَرَنْسِيِّ ٱلطَّوِيلِ تَوَقَّفَ سِيبيُو فِي مَرْسِيلْيا لِيَطَّلِعَ عَلَى مَا يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ عَنِ ٱلجَيْشِ ٱلقَرْطَاجِيِّ ٱلغازِي . وَقَدْ ذُهِلَ حِينَ عَلِمَ أَنَّ هَنِيبَعْلَ قَدْ وَصَلَ مُنْذُ مُدَّةٍ إِلَى ٱلرُّون .

أَمَّا هَنِيبَعْلُ فَلَمْ يُضِعْ وَقْتاً . وَقَدْ أَدْرَكَ قِيمَةَ ٱلمُبَاغَتَةِ ، كَما أَدْرَكَها نابُوليون بَعْدَهُ بِأَلْفَيْ سَنَةٍ . فَحَثَّ ٱلخُطَى إِلَى أَنْ وَصَلَ وَادِي ٱلرُّونِ وَقَطَعَ ٱلنَّهْرَ وَتَقَدَّمَ شَمَالاً قَبْلَ أَنْ يُنْزِلَ سِيبيو إلى البرِّ جُنْدَهُ ٱلَّذِينَ أَصابَهُم دُوَارُ ٱلبَحْرِ . إِلَّا أَنَّ سِيبيُو قَرَّرَ ٱلتَّحرُّكَ بِسُرْعَةٍ . فَأَلْغَى ٱلغَزْوَةَ ٱلمُقْتَرَحَةَ لإِسبانيا ، وَجَعَلَ مُهِمَّتَهُ ٱلأُولَى ٱلعُثورَ عَلَى جَيْشِ هَنِيبَعْل وَتَدْمِيرَهُ .

أَمَّا مِنْ أَيَّةِ نُقْطَةٍ قَطَعَ هَنِيبَعْلُ نَهرَ الرُّونِ ، فلا نَدْرِي ، وَلٰكِنْ يُرَجَّحُ أَنَّها حَيْثُ ٱلمِياهُ ضَحْلَةٌ نِسْبِيّاً فَوْقَ بَلْدَةِ آرْل . وَلَوْ أَنَّهُ تَحَوَّلَ عَنِ ٱلسَّاحِلِ كَيْ يَتَجَنَّبَ ٱلمُسْتَنْقَعَاتِ وَٱلبُحَيْرَاتِ ٱلمَالِحَةَ بَيْنَ سِيتَ وَمَصَبِّ ٱلرُّون ، لَمَا ٱتَّبَعَ ٱلطَّرِيقَ ٱلأَقْصَرَ فَحَسْبُ ، بَلْ وَلَسَلَكَ ٱلضِّفَّةَ ٱلغَرْبِيَّةَ لِلرُّونِ ٱلأَصْغَرِ عِوَضاً عَنْ قَطْعِهِ . وَلَوَجَدَ نَفْسَهُ حَيْثُ يَتَفَرَّعُ ٱلرُّونُ .

وَأيّاً كانت نقطةُ ٱجْتِيازِهِ ، فَإِنَّ ٱلغَالِيِّينَ ٱلمَحَلِّيِّينَ عَلَى ٱلضِّفَّةِ ٱلأُخْرَى كَانُوا مُصَمِّمِينَ عَلَى صَدِّ ٱلعُبُور . وَرُبَّمَا كَانَ فِي وُسْعِ قَافِلَةٍ مِنْ سَبْعَةٍ وَثَلاثِينَ فِيلاً مُنْدَفِعاً نحو ٱلبَرِّ أَنْ تُلقِيَ ٱلرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ . غَيْرَ أَنَّ أَفْيَالاً تُحاوِلُ ٱلنُّزولَ إِلى ٱلبَرِّ فَوْقَ طَوّافاتٍ نِصْفُهَا غَارِقٌ تَحْتَ ٱلمَاءِ ، شَيءٌ آخَرُ مُخْتَلِفٌ . كَما أَنَّ الفرسان ٱلنُّومِيدِيِّين كَانُوا فِي وَضْعٍ سَيِّءٍ .

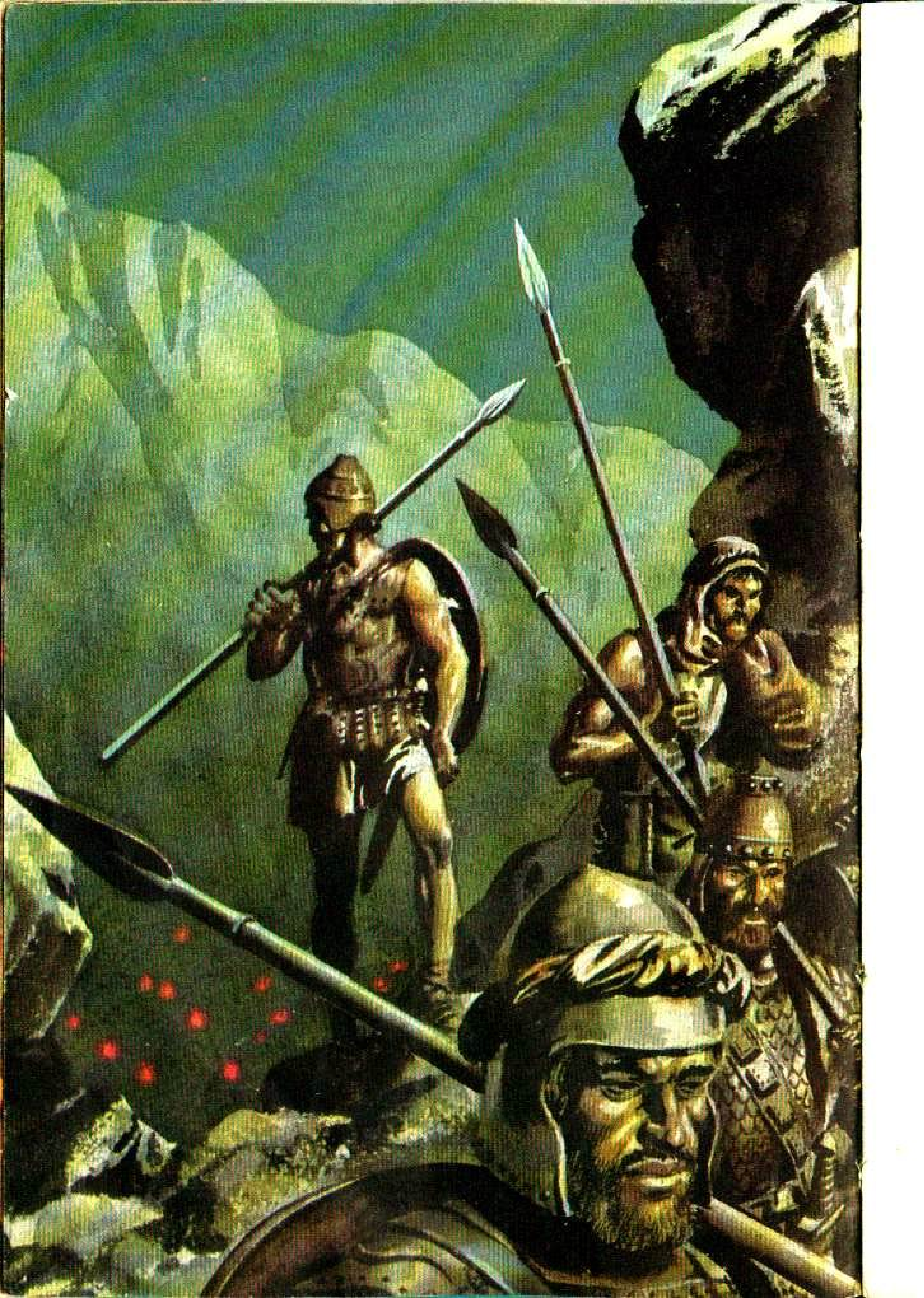


وَلَمْ يَسْتَخِفَّ هَنِيبَعْلُ بِصُعُوبَةِ قَطْعِ نَهْرٍ يَزِيدُ عَرْضُهُ على كيلومترٍ ونصْفِ الكيلومتر. رغْمَ أَنَّ جَيْشَهُ كَانَ حِينَذَاكَ قَدْ تَنَاقَصَ عَدَدُهُ إلى نَحْوِ سِتِّينَ أَلْفَ رَجُلٍ. أما السُّكَّان على جانِبَي النَّهرِ فقد كانوا من قبيلةِ فُولكيه ٱلغَالِيَّةِ ٱلمُحَارِبَةِ. غَيْرَ أَنَّ سُكَّانَ ٱلضِّفَةِ ٱلغَرْبِيَّةِ ٱرْتَأَوا ٱلبَقَاءَ على ٱلحِيَادِ، بَلْ إِنَّهُمْ سَاعَدُوا بِبِنَاءِ ٱلطَّوَّافَاتِ مِنْ جُذُوعِ ٱلأَشْجَارِ عَنْ طَرِيقِ رَبْطِهَا مَعاً. وَبَيْعِهِم هَنِيبَعْل بأسعارٍ مُغْرِيَة قَوَارِبَ صَيْدِ ٱلسَّمَكِ ٱلصَّغِيرَةَ.

وَخِلالَ ٱليَوْمَيْنِ ٱللَّذَيْنِ قَضَاهُمَا هَنِيبَعْلُ فِي هٰذِهِ ٱلتَّحْضِيرَاتِ ٱلضَّرُورِيَّةِ. كَانَتْ قَبِيلَةُ فولكيه ٱلمُعَادِيَةُ عَلَى ٱلضِّفَةِ ٱلبَعِيدَةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَٱلَّتِي لَمْ يُسْمَحْ لأَفْرَادها بِقَبُولِ أَيَّةِ رَشْوَةٍ. مَا زَالَتْ تَتَشَدَّقُ بِمَا سَيُلاقِيهِ أيُّ قَرْطَاجِيٍّ يُحَاوِلُ ٱلعُبُورَ. أَمَّا هَنِيبَعْلُ فَلَمْ يَتْرُكِ ٱلأُمُورَ تَجْرِي فِي أَعِنَّتِهَا. فَأَوْفَدَ عَشَرَةَ آلافِ رَجُلٍ لِلْعُبُورِ مِنْ أَعْلَى ٱلنَّهرِ بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ ٱلفُولكيه. وَفَجْأَةً وَجَدَ ٱلغَالِيُّونَ أَنْفُسَهُمْ عُرْضَةً لِهُجُومِ ٱلأُلُوفِ مِنْ مُقَاتِلِينَ أَشِدَّاءَ مُسَلَّحِينَ أَحْسَنَ تَسْلِيحٍ يكرُّونَ عَلَى جَنَاحِهِم. فِي حِينِ كانوا يَتَوَقَّعُونَ مُجَابَهَةَ رجالٍ مُبَلَّلِينَ وَعَلَى وَشْكِ ٱلغَرَقِ وَهُمْ يَنْزَلِقُونَ مِنْ عَلَى ضِفَّةِ ٱلنَّهرِ. وَهُنَا فَرَّ رِجَالُ الفولكيه.

وَهٰكَذَا ٱسْتَطَاعَ هَنِيبَعْلُ ٱلعُبُورَ دُونَمَا مُعَارَضَةٍ. وَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ أَدْنَى مُعَارَضَةٍ لٱسْتَحَالَتْ عَلَيْهِ مُهِمَّةُ نَقْلِ عَرَبَاتِهِ ٱلثَّقِيلَةِ مَعَ ثيرانها عَبْرَ نَهرٍ جَارٍ يَزِيدُ عَرْضُهُ على كيلومترٍ ونصفِ الكيلومترِ. فَعِوَضاً عَنِ ٱلرِّمَاحِ ٱلمُعَادِيَةِ، استقبلته هُوَ وَرِجَالَهُ أَيدٍ صَدِيقَةٌ مُعِينَةٌ.

وَمَا انْ عَبَرَ رِجَالُهُ وَحَيوَانَاته ٱلنهرَ. حَتَّى تَوَجَّهَ هَنِيبَعْلُ شَمَالاً. وَرُبَّمَا كان قد عَلِمَ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ سيبيو قَدْ أَنْزَلَ فِعْلاً فَيْلَقاً مِنْ رِجَالِهِ فِي مَرْسِيلْيَا.

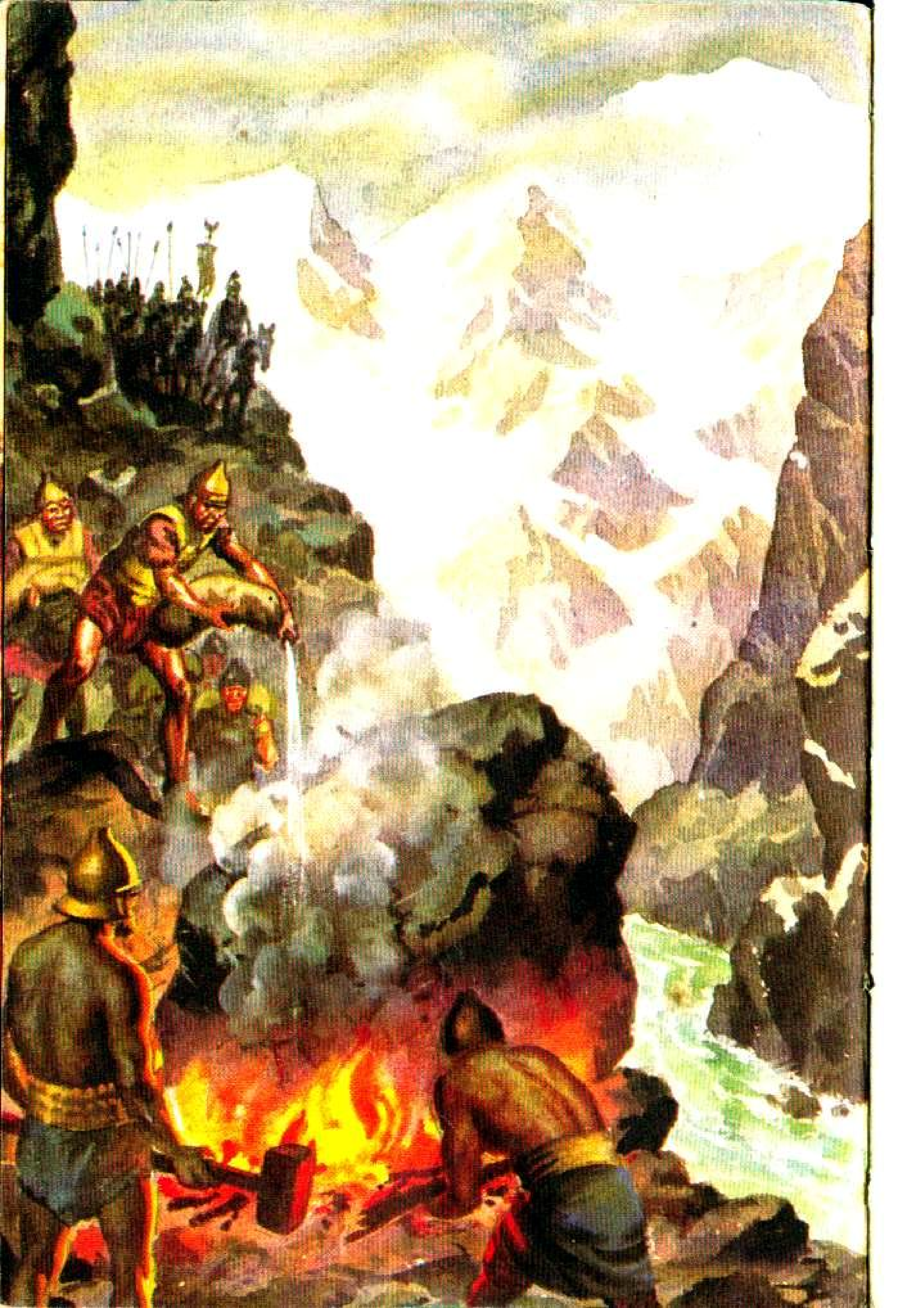


كَانَ شَهْرُ تشرينَ ٱلأَوَّلِ (أُكْتوبَر) قَدْ حَلَّ ، وَمَضَتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ عَلَى عُبورِ نَهْرِ إِبْرو ، وَلا يَزالُ بَيْنَ هَنيبَعْلَ وَشَمالِ إيطالْيا ٱلحاجِزُ الطَّبيعيُّ ٱلهائِلُ وَهُوَ جِبالُ ٱلأَلْب . وَلَنْ تَلْبَثَ ٱلمَمَرّاتُ المُمْكِنُ عُبورُهَا أَنْ تُسدَّ بالثُّلوجِ . وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِ هَنيبَعْلَ ٱنْتِظارُ حُلولِ ٱلصَّيْفِ ، فَحينَذاكَ تكُونُ ٱلفيالِقُ الرُّومانِيَّةُ تَقومُ بِحِراسَةِ ٱلنُّزولِ إلى ٱلسُّهُولِ . وكَانَ هَنيبَعْلُ ، شَأْنُهُ شَأْنَ نابُوليون ، يَكْسِبُ ٱلمَعارِكَ بِالهُجومِ ٱلمُباغِتِ عَلَى ٱلعَدوِّ حينَ لا يَتَوَقَّعُهُ . وَلَمْ يَخْطُرْ ببالِ ٱلرُّومانِ أنَّ في ٱسْتِطَاعَةِ جَيْشٍ عُبورَ مَمرّاتِ ٱلأَلْبِ قَبْلَ أَنْ يُذيبَ ٱلرَّبيعُ ثُلوجَ الشِّتاءِ .

بَعْدَ أَلْفَي سَنَةٍ مِنْ هَنيبَعْلَ ، وَاجَهَ نابُوليونُ هٰذِهِ ٱلظُّروفَ نَفْسَها ، وكَانَ هُوَ ٱلآخرَ يَقُودُ جَيْشاً إلى إيطاليا فَوْقَ جِبالِ ٱلأَلْبِ ٱلمَكْسُوَّةِ بِالثُّلوجِ . أَلْفا سَنَةٍ لَمْ تُحْدِثْ سِوَى ٱخْتِلافٍ قَليلٍ . كَتَبَ نابوليونُ يَقولُ : « إنّنا نُصارِعُ ٱلجَليدَ وَٱلثَّلْجَ وَٱلأَنواءَ وَٱلانْهياراتِ ٱلثَّلْجِيَّةَ ! » عَلَى ٱلأَقَلِّ عَرَفَ نابوليونُ أَيْنَ كانَ ٱلمَمَرُّ ، وَأَنَّ ٱلتُّجارَ كَانوا يَسْلُكُونَهُ بِدَوابِّهِمْ طَوالَ فَصْلِ ٱلصَّيْفِ .

عَبَرَ نابوليونُ مَمَرَّ سان برنار ٱلكبيرِ ، وَهُوَ أَبْعَدُ شَمالاً بِكَثيرٍ مِنْ ذاكَ ٱلّذي عَبَرَهُ هَنيبَعْلُ إِلَى إيطاليا . وَلَسْنا بِحاجَةٍ ٱليَوْمَ إلى عُبُورِ هذا ٱلمَمَرِّ إلّا إذا كُنّا نَرْغَبُ في ذٰلِكَ : فَإِمَّا أَنْ نَطيرَ أُلوفَ الأَمتارِ فَوْقَهُ ، أَوْ نُسافِرَ بِالقِطارِ تَحْتَهُ . وَفي كِلا ٱلحالَيْنِ نَشْعُرُ بِالدِّفْءِ وَٱلرَّاحَةِ . غَيْرَ أَنَّ كُلّاً مِنْ نابوليونَ وَهَنيبَعْلَ كانَ مَقْرُوراً وَمُبْتَلاً وَجائِعاً وَمَنْهُوكاً ، إذْ إنَّ كِلَيْهِمَا كَانَ مُسْتَعِدّاً لِمُشارَكَةِ رِجالِهِ كُلَّ هٰذِهِ ٱلمَشَقّاتِ ، الأَمْرُ ٱلّذي أَكْسَبَهُ تَفانيَ جَيْشِهِ .

وَفي مَمَرٍّ صَعْبٍ ضَيِّقٍ خَدَعَ هَنيبَعْلُ ٱلقَبائِلَ ٱلمُعادِيَةَ بِحيلَةٍ قَديمَةٍ جِدّاً . إذْ تَرَكَ نيرانَ ٱلمُعَسْكَرِ مُشْتَعِلَةً بَعْدَ أَنْ غَادَرَهُ جَيْشُهُ .



لَمْ يَكُنْ هنيبَعْلُ يَعْرِفُ شيْئاً عَنْ مَمرَّاتِ جِبالِ ٱلأَلْبِ ، كَما كانَتْ قَبْلَ أَلْفَيْ سَنَة . فكَانَ مُضطَرّاً إلى ٱلاعتمادِ على مُرْشِدينَ قدَّمهُمُ ٱلغاليُّونَ ٱلمحلِّيُّونَ ، وغَالِباً ما كَانُوا خوَنَةً وعِدائيِّين .

وكَثيراً ما كانَت ٱلكُتَلُ ٱلصَّخْريَّةُ ٱلمُنْهارَةُ مِنَ ٱلأَعالي تَسُدُّ ٱلشِّعابَ وٱلأَخاديدَ ٱلضَّيِّقَةَ . ويَحْتاجُ مُهَنْدِسُ ٱلطُّرُقِ في أَيَّامِنا هٰذِهِ إلى جرَّافاتٍ ومُتَفَجِّراتٍ قويَّةٍ لإزالَتِها . ولَمْ يكُنْ لَدَى هنيبَعْلَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ . وحينَ كانَ مِنَ ٱلضَّروريِّ إزالَةُ هٰذِهِ الكُتَلِ لِتوْسيعِ ٱلدَّرْبِ ، كان رِجالُهُ يُشْعِلُونَ ٱلنَّارَ تَحْتَها . ومَتى حَمِيَ ٱلصَّخْرُ صَبُّوا عَلَيْهِ ٱلنَّبيذَ المُخَلَّلَ ٱلبارِدَ . وبِهٰذِهِ ٱلطَّريقَةِ يَتَصَدَّعُ أَصْلَبُ ٱلحِجارَةِ ثُمَّ يُقَطَّعُ ويُنقَلُ مِنْ مَكانِهِ .

وٱلأَفْيالُ تَحْتاجُ إلى كَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ مِنَ ٱلأَكْلِ ، وكَانَتْ أَقَلَّ قُدْرَةً على تَحمُّلِ الجوعِ من ٱلرِّجالِ . ولَمْ تكُنْ قَدْ أَلِفَتِ ٱلبَرْدَ وهِيَ تَكْرَهُ ٱلمَمرَّاتِ ٱلضَّيِّقَةَ ٱلمُغَطَّاةَ بِٱلجَليدِ وٱلثَّلْجِ . وكَمْ تَدَهْوَرَ مِنْ عَرَباتٍ وثيرانٍ مِنْ فَوْقِ ٱلأَخاديدِ ٱلانْحِداريَّةِ أَوْ جَرَفَتْها ٱلسُّيولُ ٱلمُتَدَفِّقَةُ مِنَ ٱلجِبالِ . وكَانَ هُناكَ دائِماً خَطَرُ ٱلانْهِياراتِ ٱلثَّلْجِيَّةِ وٱلصُّخورِ ٱلمُتَساقِطَةِ . لا شَكَّ أَنَّ هٰذا ٱختِبارٌ مُريعٌ حَتَّى ولَوْ مِنْ غَيْرِ هَجَماتِ ٱلسُّكَّانِ ٱلمَحلِّيِّينَ العِدائيِّينَ ٱلمُباغِتَةِ . فَلا غَرْوَ أَنْ يَتراءَى لِلرُّومانِ أَنَّ ٱلاجْتِيازَ مُسْتَحيلٌ .

لَقَدِ ٱختَلَفَ ٱلمُؤَرِّخونَ ومُصمِّمو ٱلخَرائِطِ ، وسَيَبْقَوْنَ مُختَلِفينَ حَوْلَ ٱلطَّريقِ ٱلَّتي ٱجْتازَ مِنْها هنيبَعْل جِبالَ ٱلأَلْبِ . ويَقُولُ ٱلكُتَّابُ ٱلمُحدَثُونَ أَنَّهُ ٱتَّبَعَ طَريقَ جَداوِلِ ٱلأَلْبِ مِثْل دْرُوم ودُورانس وغِيل وكْرِيسْتيُون . أَمَّا ٱلشَّيْءُ ٱلمُهِمُّ حَقّاً فَهُوَ أَنَّهُ نَجَحَ .

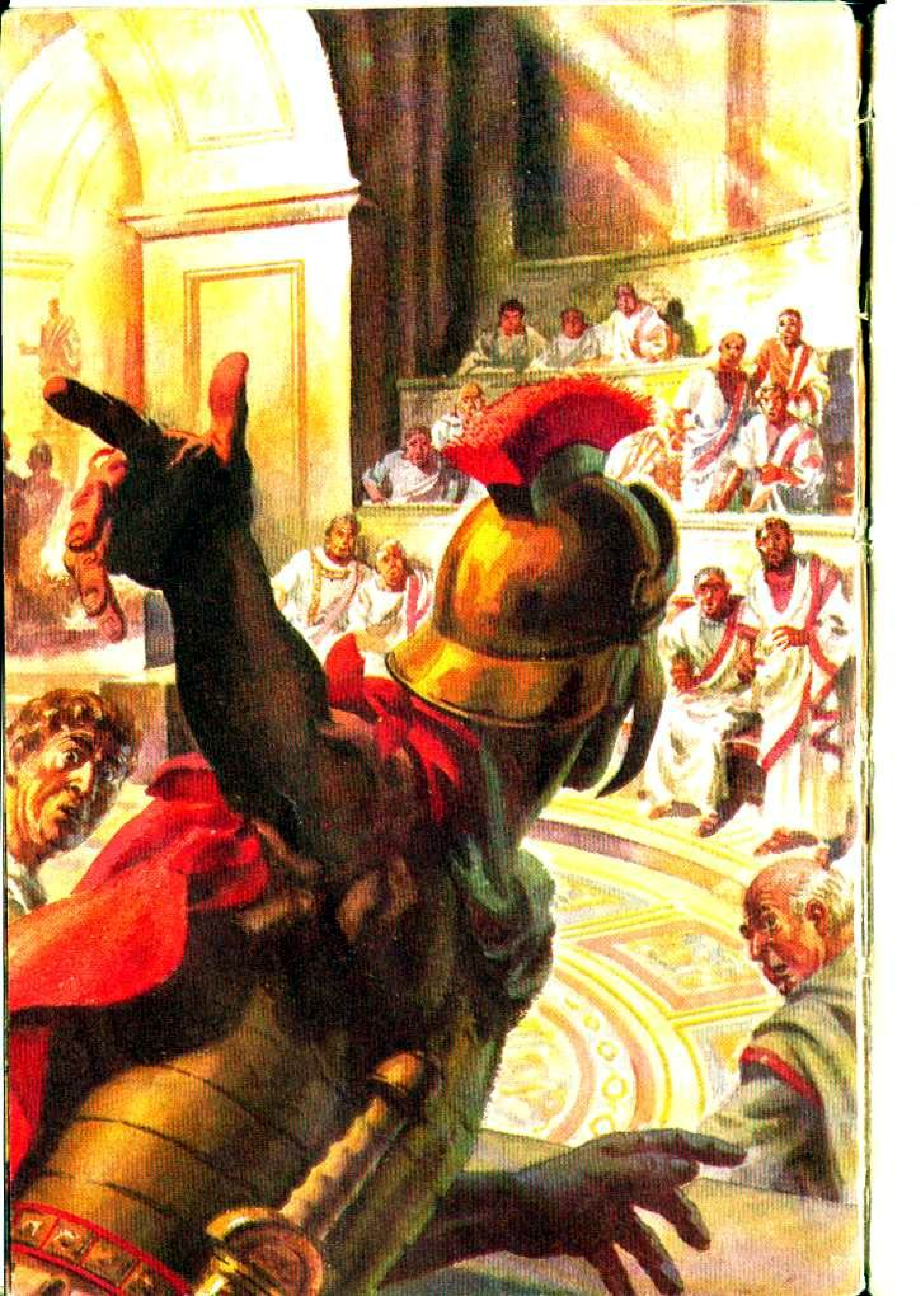


أَمْضَى هَنِيبَعْلُ وَجَحْفَلُهُ الطَّوِيلُ الْهَائِمُ أَكْثَرَ مِنْ أُسْبُوعَيْنِ فِي اجْتِيَازِ الْأَلْبِ. وَكَانَا أُسْبُوعَيْنِ مِنَ الْبَرْدِ الْقَارِسِ وَالْجُوعِ الْفَتَّاكِ وَالْجُهْدِ الْمُضْنِي الْمُسْتَمِرِّ. وَمَا انْ تَمَّ الْوصولُ إِلى آخرِ قِمَّةٍ حَتَّى جَمَعَ هَنِيبَعْلُ سَرَايَاهُ الرَّئِيسِيَّةَ وَلَفَتَ نَظَرَ عَنَاصِرِهَا الْمُنْهَكَةِ الْخَائِرَةِ الَّتِي اسْتَبَدَّ بِهَا الْجُوعُ إِلى الْوَادِي تَحْتَهَا. وَقَدْ كَتَبَ الْمُؤَرِّخُ الرُّومَانِيُّ لِفِي بَعْدَ مائةِ سَنَةٍ يَصِفُ ذاكَ الْمَشْهَدَ يَقُولُ:

صَاحَ هَنِيبَعْلُ: «أَمَامَكُمْ بِلادٌ صَدِيقَةٌ. أَلسُّكَّانُ سَيُرَحِّبُونَ بِنَا كَأَصْدِقَاءَ وَحُلَفَاءَ ضِدَّ الرُّومَانِ الَّذِينَ يَمْقُتُونَهُمْ. وَأَنْتُم الَّذِينَ قَهَرْتُمْ أَسْوَأَ ما يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ الطَّبِيعَةُ، فِي أَصْعَبِ بَلَدٍ فِي الْعَالَمِ، لا عَلَيْكُم أَنْ تَخَافُوا جُيُوشاً مِنْ أَشْبَاهِ الرِّجَالِ. إِتْبَعُونِي! فَالنَّصْرُ مُؤَكَّدٌ! أَلطَّرِيقُ مَفْتُوحٌ، وَالْغَنِيمَةُ هِيَ رُوما!»

إِنْتَعَشَتِ الآمالُ وَبَدَأَ الْجَيْشُ النُّزُولَ الصَّعْبَ، حَيْثُ كانت أَيَّةُ زَلَّةٍ أَوْ كَبْوَةٍ تَعْنِي السُّقُوطَ مِنَ ارْتِفَاعِ مِئاتِ الامتارِ على الصُّخُورِ. وقد فَقَدَ الْعَدِيدُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالرِّجالِ، وَلَكِنْ تَمَّ أَخيراً الْوُصُولُ إِلى الأَرْضِ. وَتَمَكَّنَ الْجُنُودُ مِنَ التَّخْيِيمِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي رَاحَةٍ، فَعَلَى الأَقَلِّ فِي ظُرُوفٍ أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي عرفُوهَا مُنْذُ أَنْ بَدَأُوا اجْتِيَازَ الأَلْبِ.

وَبَعْدَ أَلْفَي سَنَةٍ مِنْ ذلِكَ، شَجَّعَ نابوليونُ رِجالَهُ الْمُهَلْهَلِينَ الجِياعَ الْمُتَمَرِّدِينَ بِالإِشارَةِ إِلى الْوادي الْخصيبِ ذاته. وَالْيَومَ يَقْطَعُ السُّيَّاحُ جِبالَ الأَلْبِ نَفْسَهَا طائِرِينَ عالِياً فَوقَ وَادي الرُّونِ خلالَ دقائِقَ أَقَلَّ عَدَداً مِنَ الأَيَّامِ الَّتِي اسْتَغْرَقَهَا هنِيبَعْلُ. وَيرَوْنَ تَحتَهُم السَّهْلَ الْخَصِيبَ الَّذِي عَانَتْ جُيُوشُ هَنِيبَعْلَ وَنابوليونَ الأَمَرَّيْنِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

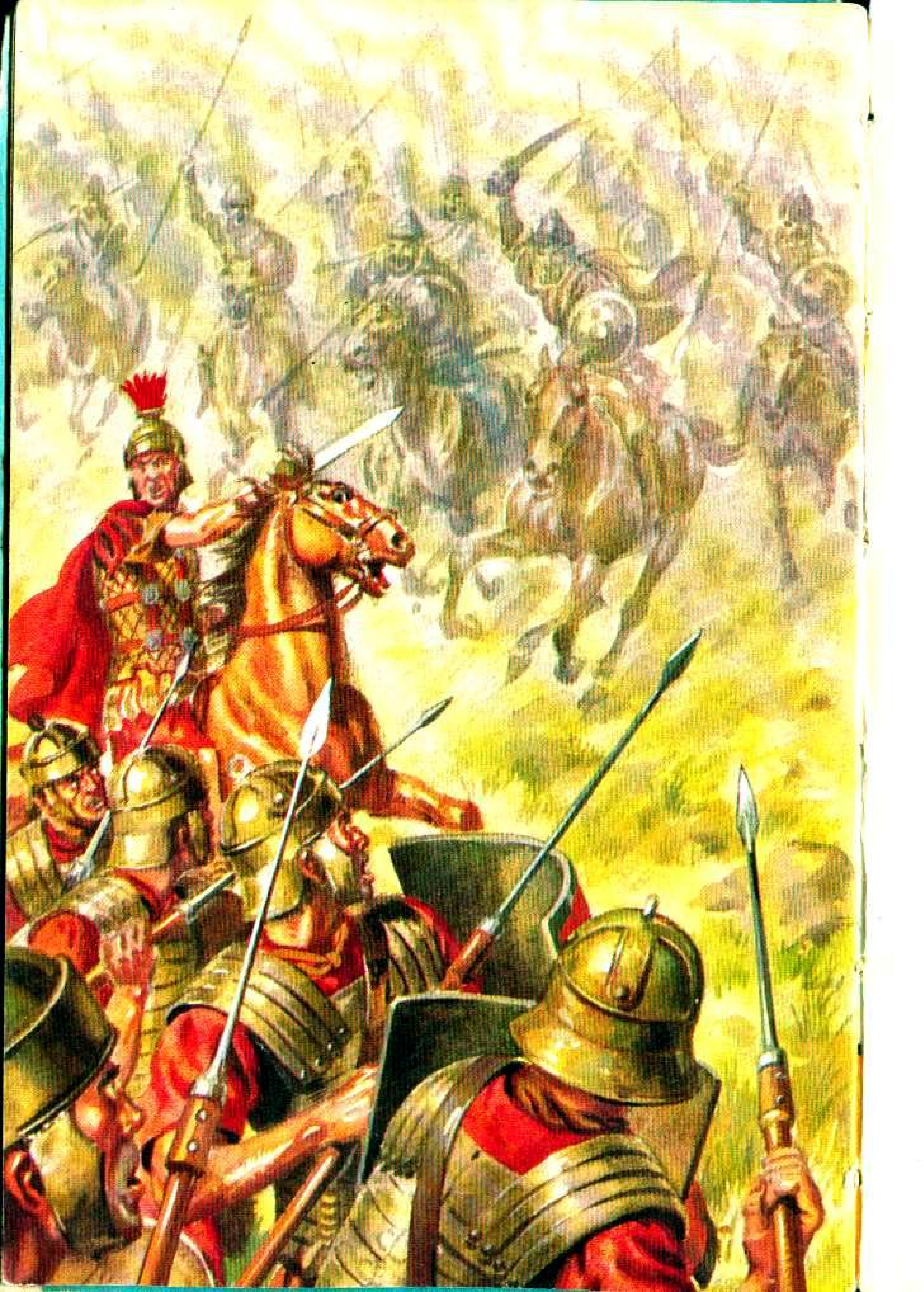


رَكَنَ هَنيبعْل إلى مُساعدَةِ سُكَّانِ السُّفوحِ ، وَهُمْ عَدَدٌ مِنْ قَبائِلَ غالِيَّةٍ صَغيرَةٍ كانت . عَلى الرَّغْمِ مِنْ كَراهِيَتِها كُلِّها لِرُوما . تَكُنُّ إحداها للقبائلِ الأُخرى كَراهِيَةً أَشَدَّ وأَدْهَى . فكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقْنِعَها أَنَّ روما سَتَنْهارُ كُلِّيّاً إذا ما ساعَدَتْهُ هذِهِ القَبائِلُ . وَلٰكِنَّها كَانَتْ تَشُكُّ في ذٰلِكَ لِسَبَبٍ مَفْهُومٍ . فَقَد ٱلتَقَتْ تلك القَبائِلُ فِرَقَ روما الحَسَنَةَ التَسَلُّحِ وَالمُدَرَّبَةَ تَدريباً مُمْتازاً . وَحِينَ نَظَرَ القَبَلِيُّونَ إلى الرِّجالِ المَنْهُوكينَ الجائِعينَ ، بَدا لَهُم أَنَّهُ يَسْتَحيلُ عَلَيْهِم كَسْبُ مَعْرَكَةٍ واحِدَةٍ .

غَيْرَ أَنَّ الإقْناعَ وَعَرْضَ القُوَّةِ جَعَلا بَعْضَهُمْ يُغَيِّرُ رَأْيَهُ . وَكَانَ لا يَزالُ لَدى هَنيبعْلَ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرينَ ألفَ رَجُلٍ ، بَيْنَهُمُ الفُرْسانُ النُّوميديُّونَ الأَشِدّاءُ وَأَفْيالُهُ . وكانَ عَلى الغالِيِّينَ أَنْ يَخْتارُوا بَيْنَ جَيْشٍ هُوَ في دِيارِهِم ، وَالفَيالِقِ الرومانِيَّةِ الَّتي قَدْ تَهُبُّ أَوْ لا تَهُبُّ لِنَجْدَتِهِم .

الفَيالِقُ الرُّومانِيَّةُ كانَتْ أَقْرَبَ مِمَّا تَوَقَّعَهُ الغالِيُّونَ أو هَنيبعْلُ . وَعِنْدَما أَخْفَقَ سيبيو في مُلاقاةِ الجَيْشِ القَرطاجِيِّ . أَعادَ جُنودَهُ إلى السُّفُنِ وَقَفَلَ راجِعاً إلى رُوما . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِ مَجْلِسِ الشُّيوخِ الرُّومانيِّ إطْلاقاً أَنْ يَسْتَطيعَ جَيْشٌ اجتِيازَ الأَلْبِ قَبْلَ حُلولِ الصَّيْفِ ، هٰذا إذا ٱسْتَطاعَ . وَلَمّا عَلِمُوا أَنَّ هَنيبعْلَ أَصْبَحَ في الجِهَةِ الجَنوبِيَّةِ مِنَ الجِبالِ وَأَنَّهُ يُجَنِّدُ رِجالَ القَبائِلِ الغالِيَّةِ ، أَرْسَلُوا سيبيو وَفَيالِقَهُ وَأَمَرُوهُم بِأَن يَحُثُّوا الخُطَى لِاعْتِراضِ سَبيلِهِ .

وَقَدْ فُوجِئَ هَنيبعْلُ أيضاً بِسُرعَةِ الرُّومانِ . فَلَمّا عَلِمَ أَنَّ الجَيْشَ الرُّومانِيَّ أَصْبَحَ في بِياسِنْزا ، أَعَدَّ مَكْمَناً عِنْدَ نَهْرِ تْرِبْيا . وَقَدْ فُوجِئَ الرُّومانُ بالهُجُومِ المُباغِتِ فَتَمَزَّقَتْ صُفُوفُهم وَفَرُّوا . وَنَجا القَليلونَ مِنْ مُلاحَقَةِ النُّوميدِيّينَ .

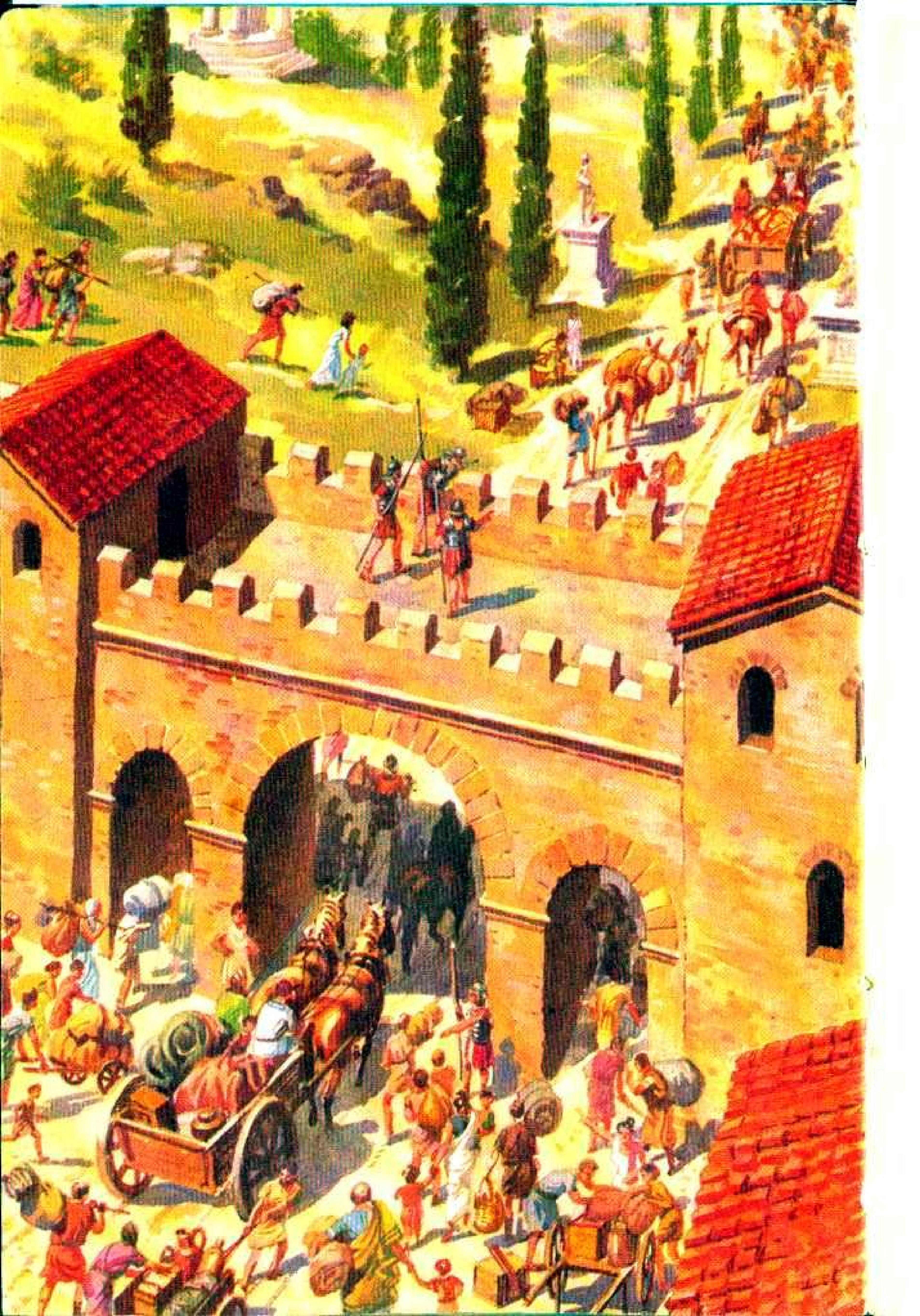


خبرُ القضاءِ شبْهِ الكامِلِ عَلَى الجَيْشِ الرُّومانيِّ ، حمَلَ الغالِبِّين على اتّخاذِ قرارٍ. فَانْدفعَ الأُلوفُ مِنَ المُتردّدينَ لِلانْضِمامِ إلى الجانِبِ الظّافِرِ، وَتمكّنَ هَنيبَعْلُ مِنَ الزّحْفِ جَنوباً مُجْتازاً جِبالَ الأبينيه وَنهر آرنُو. فَأعَدَّ الرُّومانُ عَلَى عَجلٍ جَيْشاً آخرَ وَبِإمْرَةِ القُنْصُلِ فلامينيُوس احْتَلَّ أريْزُو لاعْتِراضِ مَسيرةِ هَنيبَعْل نحْوَ رُوما.

تابعَ هَنيبَعْلُ زحفَهُ باتّجاهِ الجنوبِ الشّرْقيِّ مُجْتازاً أريزّو قبْلَ أنْ يَتمكّنَ فلامينيُوس مِنْ إرغامِهِ عَلَى القِتالِ، الأمْرُ الّذي أفْسَد مُخطَّطاتِ الرُّومانِ. أمّا فلامينيُوس، إدراكاً مِنْهُ لما كانَ مُقدّراً لَهُ أنْ يواجهَهُ من لومٍ عنيفٍ ومن احتِقارِ الجَيْشِ لَهُ، فقَدْ سارَعَ الى تعَقُّبِ القَرْطاجِيّينَ الّذينَ أصْبحوا على الشّاطِئِ الشّماليِّ لِبُحَيْرةِ تُراسيْمين.

لا بُدَّ أنَّ الجانِبَ الشّماليَّ مِنَ البُحيْرةِ كانَ أقْربَ إلى التِّلالِ مِمّا هُوَ اليَوْمَ. فكلُّ الرِّواياتِ تُؤكِّدُ أنَّهُ عِنْدَما لَحِقَ فلامينْيُوس بِجَحْفَلِ هَنيبَعْلَ الطَّويلِ، كانَ الضَّبابُ يَحْجُبُ المُنْحدَراتِ الحَرِجيَّةَ عَلَى يَسارِهِ. أمّا اليَوْمَ فإنّها تبعُدُ حَوالَى كيلومتْرٍ وَنِصْفِ الكيلومتِرِ. وَيَبْدُو أنَّ خطَرَ الوُقوعِ في مَكْمَنٍ لَمْ يَخطُرْ بِبالِ القائِدِ الرُّومانيِّ، وكانَ في اعْتِقادِهِ أنّ القرطاجِيّينَ ما زَالُوا أمامَهُ.

لَقَدْ كانَ مُخطِئاً، فَفَجْأةً انطلَقتْ مِنْ عَلى شِمالِهِ صَيْحاتٌ مُرْعِبَةٌ وقعْقعَةُ السُّيوفِ عَلَى الدُّروعِ المَعْدِنِيَّةِ وَقدْ قَطعَ هُجُومُ النّوميديّين كُلَّ احْتِمالٍ لِلتَّراجُعِ، كَما أنَّ وُجودَ البُحَيْرةِ عَلى الجَناحِ الأيْمنِ مَنعَ تَشْكيلَ الفَيْلَقِ الرُّومانيِّ. وَمَرَّةً أُخرى خدَعَ هَنيبَعْلُ الجَيْشَ الرُّومانيَّ. وربما كان فلامينيُوس محْظُوظاً لأنّهُ لاقَى في تِلْكَ المعْرَكَةِ مَصْرَعَهُ.



كادَ الخوفُ يُصيبُ الرُّومانَ بالشَّللِ فَقَدْ تَضاءَلَ جَيْشُهُم إلى عَددٍ قَليلٍ مِنَ الهارِبينَ. وَقُتِلَ قائِدُهُم. وَالطَّريقُ إلى رُوما باتَتْ مَفْتوحَةً! وَالَّذينَ نَجَوْا مِنْ مُلاحَقَةِ النُّوميدِيِّينَ وَتَمَكَّنوا مِنَ العَوْدَةِ إلى رُوما، أَشاعُوا بَيْنَ النَّاسِ قِصَصاً كَئيبَةً. إنَّ تَصَوُّرَ وُقوعِ حَضارَتِهِمْ كُلِّها تَحْتَ رَحْمَةِ مُتَوَحِّشينَ. وَسَوْقِ نِسائِهِم وَأَطْفالِهِم إلى العُبودِيَّةِ. أَشاعَ الرُّعْبَ بَيْنَ المُواطِنينَ. فَقَدْ كانُوا يَعْتَقِدُونَ دائِماً أَنَّ فَيالِقَ رُوما العَسْكَرِيَّةَ لا تُقْهَرُ. وَهِيَ دِرْعٌ يَشْعُرُونَ وَراءَها بِالأَمانِ. غَيْرَ أَنَّ هذِهِ الدِّرْعَ لَمْ تَعُدْ مَوْجُودَةً.

وَازْدَحَمَتِ الطُّرُقُ المؤَدِّيَةُ إلى الجَنُوبِ بِجُموعِ الخائِفينَ وَالمُشَرَّدينَ وَالقانِطينَ. يَهْرُبونَ مِنْ حاضِرٍ خَطِرٍ إلى مُسْتَقْبَلٍ مَجْهُولٍ. فَإِنْ لَمْ يُعْثَرْ عَلى زَعيمٍ قادِرٍ عَلى تَهْدِئَةِ الشَّعْبِ وَتَشْجيعِهِ، كانَتْ نِهايَةُ رُوما مَحْتومَةً.

وَفي هٰذِهِ المَرْحَلَةِ، كَمَا يَحْدُثُ غالِباً في التَّاريخِ. أَنْجَبَتِ السَّاعَةُ الرَّجُلَ المَطْلُوبَ.

وكانَ فابْيوسِ الرَّجُلَ الَّذي عُيِّنَ في تِلْكَ الحالَةِ الطَّارِئَةِ. وَقَد اشْتُهِرَ بِكَوْنِهِ الجِنرالَ الَّذي أَنْقَذَ أَخيراً الجُمْهُورِيَّةَ الرُّومانِيَّةَ مِنْ هَنيبَعْلَ الَّذي خَسِرَ المَعْرَكَةَ الوَحيدَةَ الَّتي تَقابَلا فيها. وَمِن اسْمِ فابيوس اشْتُقَّتْ في الإنكليزيَّةِ صِفَةٌ تَعْني الشَّخْص الَّذي يَظْفَرُ بِفَضلِ التَرَيُّثِ. وَقَدْ أَخْطَأَ هَنيبَعْلُ بِتَخَلُّفِهِ عَنِ الزَّحْفِ مُباشَرَةً عَلى رُوما يَوْمَ كانَت الطَريقُ مَفْتوحَةً أَمامَهُ. إذ تَحَوَّلَ شَرْقاً عَلى كُرْهٍ مِنْ قائِدِ فُرْسانِهِ الَّذي قالَ لَهُ مُعاتِباً: «أَنْتَ تَعْرِفُ كَيْفَ تَكْسِبُ المَعارِكَ. وَلكِنَّكَ لا تَعْرِفُ كَيْفَ تُفيدُ مِنَ انْتِصاراتِكَ». لَمْ يَكُنِ القائِدُ عَلى صَوابٍ. فَجَيْشُ هَنيبَعْلَ لَمْ يَكُنْ مُجَهَّزاً لِمحاصَرَةِ مَدينَةٍ.

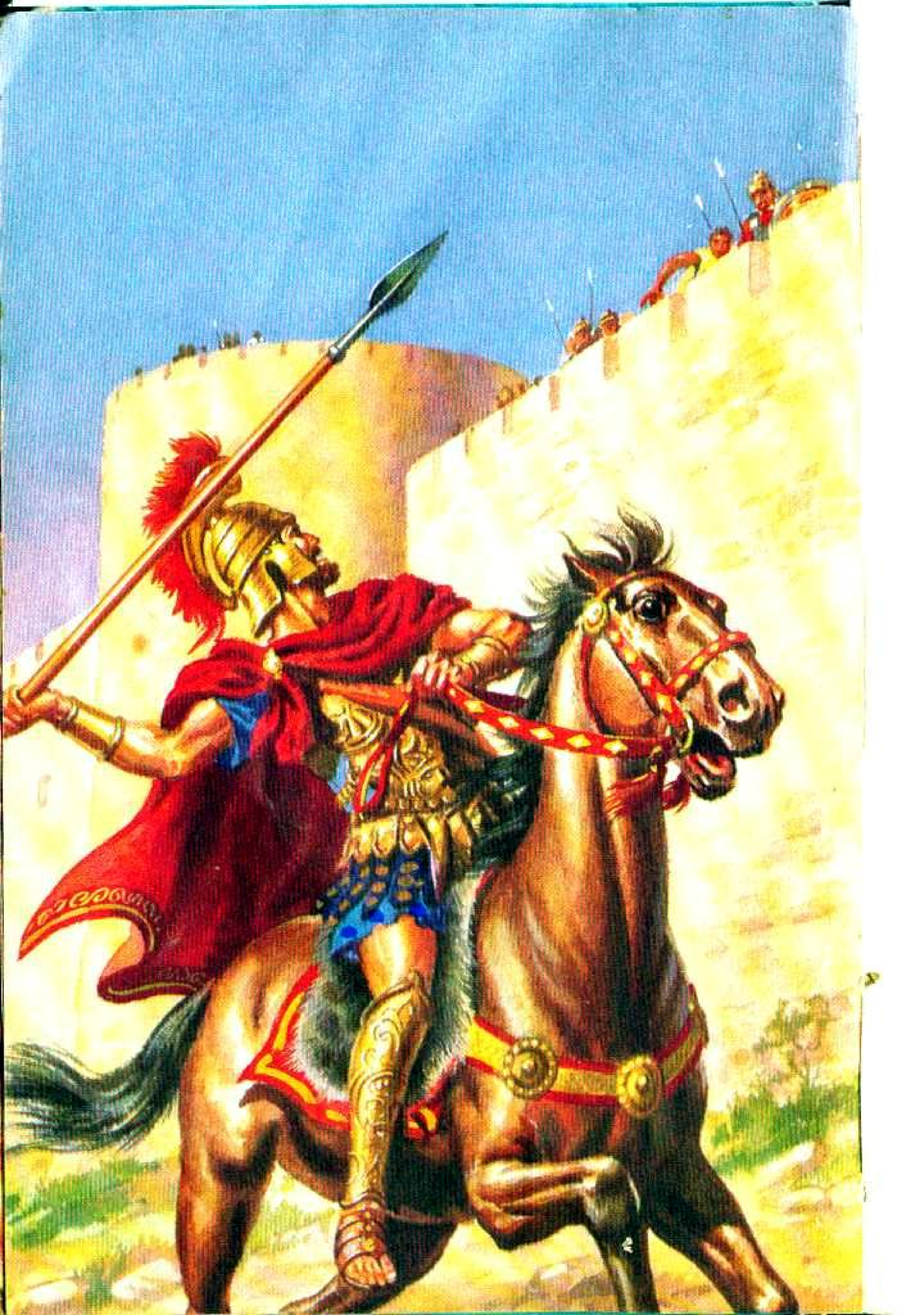


بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ مِنْ كارِثَةِ تْراسيمين ، تَمَكَّنَ ٱلرُّومانُ بِفَضْلِ فابْيوس ، مِنْ حَشْدِ جَيْشٍ قِوامُهُ ٨٠٫٠٠٠ رَجُلٍ وَتَدْريبِهِ. وَكانَتِ ٱلفَصائِلُ ٱلَّتي يُرْسِلُها هَنيبَعْلُ لِجَمْعِ ٱلعَلَفِ تَتَعَرَّضُ لِلْهُجُومِ بِٱسْتِمْرارٍ. وَبِما أَنَّ ٱلرُّومانَ تَمَكَّنوا حينَذاكَ مِنَ ٱلسَّيْطَرَةِ عَلى ٱلبَحْرِ، لَمْ يَعُدْ بِٱسْتِطاعَةِ ٱلأَمْدادِ ٱلوُصُولُ إِلى هَنيبَعْلَ مِنْ قَرْطاجَةَ. أَضِفْ إِلى هٰذا أَنَّ ٱلقَبائِلَ في جَنُوبِ إِيطاليا وَٱلَّتي كانَ هَنيبَعْلُ يَأْمُلُ في تَجْنيدِها ، رَفَضَتِ ٱلانْقِلابَ عَلى روما. لَقَدْ أُصيبَتْ بِلادُهُمْ بِالبَوارِ. فَإِذا كانَ بِوُسْعِ فابْيوس ٱلانْتِظارُ، فَهُم مِثْلُهُ مُنْتَظِرونَ.

في سَنَةِ ٢١٦ ق . م. أَقْدَمَ هَنيبَعْلُ عَلى خُطْوَةٍ مُفاجِئَةٍ حاسِمَةٍ. فَقَدْ تَعِبَ مِنْ مُحاوَلَةِ حَمْلِ فابْيوس عَلى ٱلقِتالِ. وَكانَتْ مُؤَنُهُ قَدْ نَضَبَتْ تَقْريباً ، فَٱسْتَوْلى عَلى ٱلحِصْنِ ٱلرُّومانيِّ وَٱلمُسْتَودَعِ ٱلغَنيِّ في كانيه. وَهٰذِهِ خُطْوَةٌ لا يُمْكِنُ إِغْفالُها. فَكانَ لا بُدَّ مِنْ تَدْميرِ هَنيبَعْلَ وَجَيْشِهِ.

وَلَوْ كانَ في إِمْرَةِ فابْيوس ٱلفَيالِقُ ٱلأَرْبَعَةُ ٱلَّتي تُشَكِّلُ ٱلجَيْشَ ٱلرُّومانيَّ ، لَما وَقَعَتْ كارِثَةُ كانيه. غَيْرَ أَنَّ فابيوس ٱضْطُرَّ إِلى ٱلعَوْدَةِ إِلى روما ، وَبَقِيَ وَراءَهُ قائِدانِ رُومانِيّانِ ٱخْتَلَفا عَلى طَريقَةِ خَوْضِ ٱلمَعْرَكَةِ.

فَٱنْتَظَرَ هَنيبَعْلُ مَعَ مُشاتِهِ بَيْنَ مَجْمُوعَتَيْنِ مِنَ ٱلفُرْسانِ. وَقَدْ هاجَمَ ٱلرُّومانُ ٱلوَسَطَ ، وَبِناءً عَلى أَوامِرِ هَنيبَعْلَ تَراجَعَ ٱلمُشاةُ. وَلَمْ يُدْرِكِ ٱلرُّومانُ أَنَّ ذٰلِكَ كانَ فَخّاً آخَرَ مِنْ فِخاخِ هَنيبَعْلَ ٱلعَسْكَرِيَّةِ. فَسَرْعانَ ما تَجَمَّعُوا مَعاً وَتَوَغَّلُوا أَبْعَدَ فَأَبْعَدَ بَيْنَ ٱلفُرْسانِ. وَعِنْدَ إِعْطاءِ ٱلإِشارَةِ ٱلمُتَّفَقِ عَلَيْها ٱنْدَفَعَ ٱلفُرْسانُ ٱلنّوميدِيّونَ. فَٱرْتَصَّتْ صُفُوفُ ٱلرُّومانِ رَصّاً شَديداً حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَهُم مَجالٌ لِٱسْتِعْمالِ أَسْلِحَتِهِم. فلم يَنْجُ مِنْهُم سِوى ٱلقَليلِ.

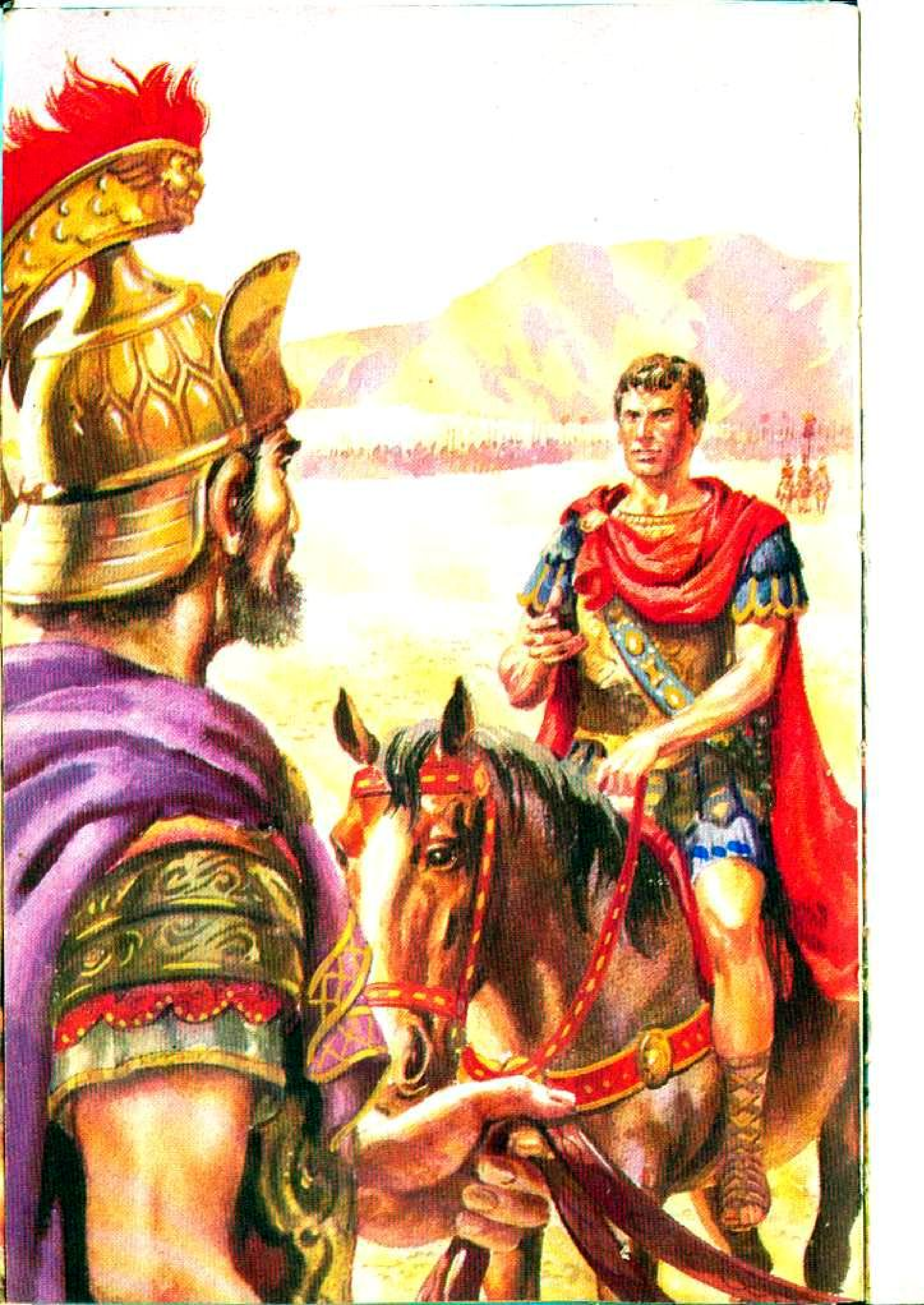


كَانَتْ كانيه كارِثَةً . وَبَاتَ مَصيرُ رُوما مَرَّةً أُخْرَى في يَدِ هَنيبَعْلَ . وَلكِنْ كَمَا حَدَثَ غَيْرَ مَرَّةٍ في تَاريخِ ٱلعَالَمِ . أَفْسَدَ ٱلأَنْتِصارَاتِ في مَيْدانِ ٱلقِتالِ . ٱلسَّاسَةُ ٱلحاقِدُونَ في ٱلوَطَنِ . وَلَمْ يَصِلْ إلى هَنيبَعْلَ مِنْ قَرْطَاجَة سِوَى عَدَدٍ قَليلٍ مِنَ ٱلفِيَلَةِ وَبَعْضِ ٱلتَّعزيزاتِ ٱلنّوميدِيَّةِ . وَلكِنَّهُ حافَظَ لِبِضعِ سَنواتٍ بَعْدَ ذٰلِكَ عَلَى بَقاءِ جَيْشِهِ يَتَنَقَّلُ في أَنْحاءِ شِبْهِ ٱلجَزيرةِ الإيطالِيَّةِ يَكْسِبُ مَعارِكَ صَغيرةً . وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ إطْلاقاً يُشَكِّلُ تَهديداً لِرُوما .

وَٱسْتَرَدَّتْ رُوما أَنْفاسَها إلى حَدٍّ يُمكِّنُها مِنْ إرْسالِ فَيْلَقٍ إلى إسْبانيا وَإفريقيا . أَمَّا مُرتَزِقَةُ هَنيبَعْلَ فَقَدْ تَعِبُوا مِنَ ٱلحَرْبِ . وكَانُوا يَهْجُرُونَهُ بأَعْدادٍ مُتزايدَةٍ . وَلَمْ تَعُدْ تَأْتيهِ تَعْزيزاتٌ . وَلَمْ يَعُدْ في مَقْدُورِ ٱلأَرْيافِ ٱلَّتي خَرَّبَها جنودُه أَنْ تُمِدَّهُ بِغِذاءٍ يَكْفي رِجَالَهُ أَوْ عَلَفٍ لِأَفْيالِهِ . لَقَدْ كانَ لَهُ ولِرجالِهِ لِفَتْرَةٍ مُسْتَقَرٌّ هنيءٌ في مُقاطَعَةِ كابوا . إلّا أَنَّ ٱلرُّومانَ مَا لَبِثُوا أَنِ ٱسْتَرَدُّوا تلكَ المقاطعة .

وَهٰكَذا ٱزْدَادَتْ خَيْبَةُ أَمَلِ هَنيبَعْلَ . وَفي إحدَى ٱلمَرَّاتِ رَكِبَ حِصانَهُ وَٱقْتَرَبَ مِنْ أَسْوارِ رُومَا وَرَمَى بِرُمْحٍ إلى دَاخِلِ المدينةِ كَعلامَةِ تَحَدٍّ . أَصْبَحَ هَنيبَعْلُ الآنَ في مَوْقِعِ دِفاعٍ . وَكَانَ دِفاعاً شَديداً وَعُدْوانِيّاً .

في هذِهِ الأَثْناءِ كانَ هَسْدْروبال ، أَخُو هَنيبَعْلَ مُحْتَفِظاً بإسبانيا . وَنَجاحُهُ هُنَاكَ يَعْني أَنَّهُ كانَ حُرّاً لِلزَّحْفِ وَمُساعَدَةِ القَرْطَاجِيّينَ المَنهوكِينَ . وَبَعْدَ أَنِ ٱجْتازَ هَسْدْروبال الأَلْبَ مُلاقِياً مُقاوَمَةً بَسيطَةً بَعْدَ تِسْعِ سَنَواتٍ مِنْ مُرورِ أَخيهِ ، هُزِمَ وَقُتِلَ في شمَالِ إيطاليا . وَأَلْقَتْ دَوْرِيَّةٌ رومانيَّةٌ بِرَأْسِهِ بٱحتِقارٍ في مُعَسْكَرِ هَنيبَعْل .

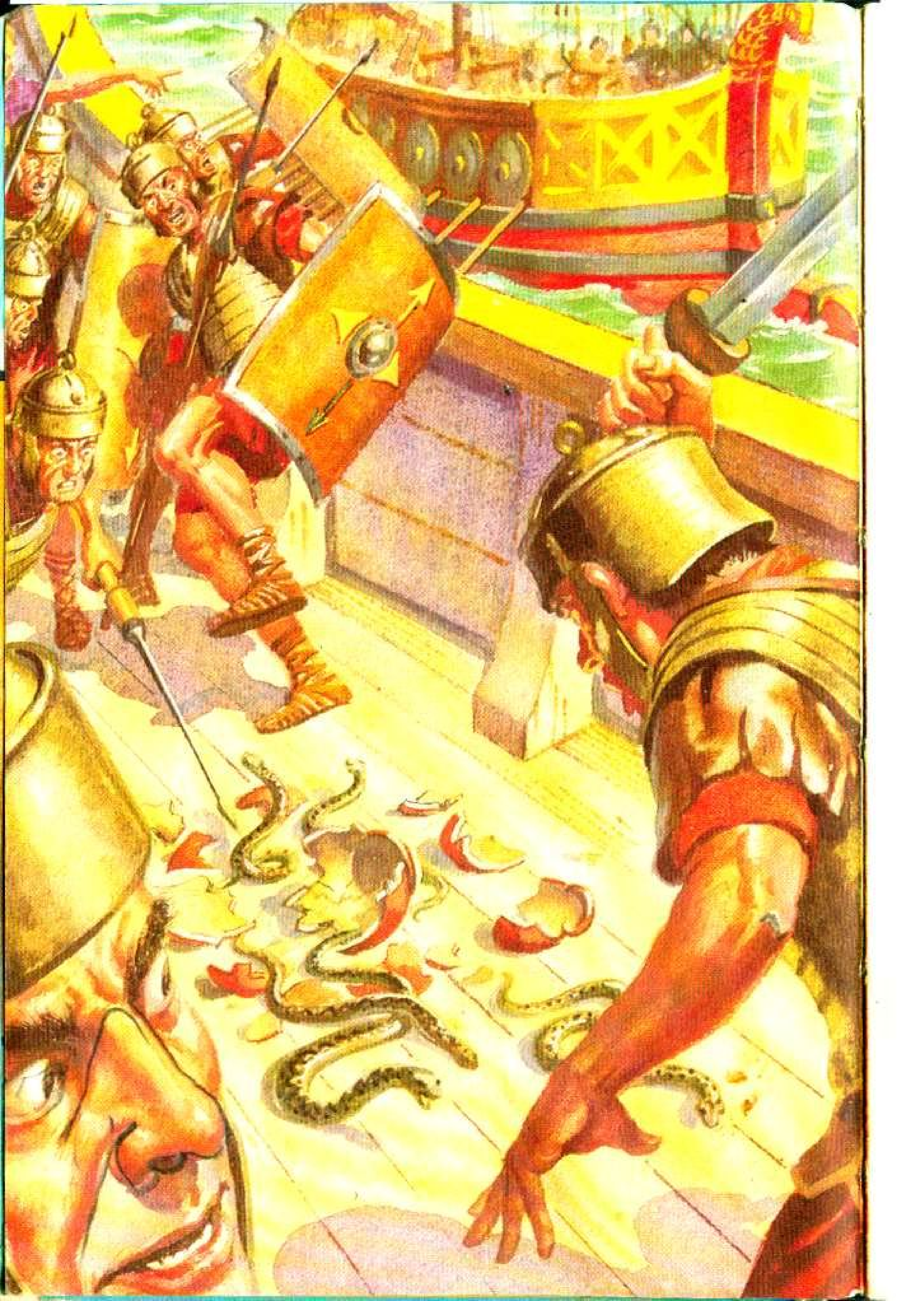


لم يَبْقَ لِهَنِيبَعْلَ كَبيرُ أملٍ في دَحْرِ رُوما . فَقَدْ نَجَحَ سيبيو الأَصْغَرُ مِنْهُ سِنّاً في كَسْبِ معارِكِهِ في إسبانيا ، كَمَا أنَّهُ عَبَرَ إلى إفريقيا . فباتَتْ قَرْطاجةُ في خَطَرٍ ، بَلْ إنَّهَا وَافَقَتْ عَلَى التَّفاوُضِ على الصُّلْحِ عِنْدَمَا عادَ هَنِيبَعْل في عامِ ٢٠٣ ق . م . غيرَ أنَّ وُجُودَ القائِدِ الَّذي طالَمَا انْتَصَرَ على فَيالِقِ رُومَا بعثَ الأَمَلَ في قلوبِ القَرْطَاجِيِّينَ الَّذينَ اسْتَجْمَعُوا شَجاعَتَهُم مُجَدَّداً وَاسْتَعَدُّوا لِلنِّزالِ .

عِنْدَئِذٍ كَانَ عَلَى هَنِيبَعْلَ أَنْ يُواجِهَ غَضْبَةَ الفُرْسَانِ الَّذينَ طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَى قُدُراتِهِم القِتالِيَّةِ الوَحْشِيَّةِ في انْتِصارَاتِهِ . فَقَدِ انْضَمَّ المَلِكُ النُّوميديُّ مَاسينيسّا إلى سيبيو بِأَرْبَعَةِ آلافٍ مِنَ النُّوميديِّينَ المُرْعِبِينَ الَّذينَ رَأَوْا الآنَ فُرْصَةً لِنَهبِ مَدينَةِ قَرْطَاجَةَ الغَنِيَّةِ غِنًى فاحِشاً .

أَدْرَكَ هَنِيبَعْلُ الخطَرَ . فَتَقَدَّمَ إلى مَوْقِعٍ اسْمُهُ زاما وَأَوْفَدَ رُسُلاً إلى سيبيو يَعْرِضُ عَلَيْهِ اللِّقاءَ . فالْتَقَيَا ، وقالَ هَنِيبَعْل : إنَّ السَّلامَ هُوَ لِخَيْرِ الطَّرَفَيْنِ . فَرَفَضَ سيبيو السَّلامَ ، وَخَيَّرَ هنيبَعْلَ بَيْنَ الاسْتِسْلامِ أو القِتالِ .

بَدَأَتْ مَعرَكَةُ زامَا بِهَجْمَةٍ شَرِسَةٍ مِنْ ثَمانينَ فِيلاً أَوْ يَزيدُ ، دفَعَهَا هَنِيبَعْل آملاً أَنْ يُفَرِّقَ بها الفَيالِقَ الرُّومانِيَّةَ . إلّا أَنَّ الخُطَّةَ أَخْفَقَتْ . فَقَدْ أَفْزَعَ الرُّومانُ الفِيَلَةَ بِقَرْعِ الصُّنوجِ قَرْعاً صَاخِباً وبإطْلاقِ نفيرِ الأَبْواقِ إطْلاقاً ناشِزاً عالياً . فإذا بِالْفِيَلَةِ تَعُودُ مُجْفِلَةً إلى خُطوطِ القَرطاجِيِّينَ . وَواجَهَ جُنُودُ هَنِيبَعْلَ المُحَنَّكُونَ مُقاوَمَةً قاسِيَةً مِنَ الفَيالِقِ المُنْتَقِمَةِ ، وكَانَ مصيرُ المَعرَكَةِ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ مَوْضِعَ شَكٍّ . وَفي اللَّحْظَةِ الحَرِجَةِ هَجَمَ نُوميديّو المَلِكِ ماسينيسّا مِنْ جِهَةِ الجَناحِ . وكَانَ ذلِكَ تكْتيكاً اتَّبَعَهُ هَنِيبَعْلُ في انْتِصاراتِهِ العَديدَةِ . ولكِنْ جاءَ ضِدَّهُ هذهِ المَرَّةَ .



شُرُوطُ الصّلح كانَتْ مُذِلَّةً لقرطاجَةَ فَلَمْ يُسمَحْ لِهذِهِ ٱلمَدِينَةِ - الدَّولةِ حتّى بِالْبقاءِ والمتاجرةِ . إلا لِأَنَّ أَحدَ شُروطِ الصُّلحِ كَانَ دَفْعَ عَشَرَةِ آلافِ مِثْقالٍ مِنَ الفِضَّةِ عَلَى خَمْسينَ قِسْطاً . فَلَوْ نَهبَ ٱلرُّومانُ قَرْطَاجَة وَأَحْرَقُوها لَما كَانَ بِوُسْعِهَا أَنْ تَدْفَعَ ٱلمَالَ ٱلذي كانت روما تَحْتَاجُهُ .

وَرُبَمَا قِيلَ إن هَنِيبَعْلَ خَرَّبَ قَرْطَاجة إلا أَنَّ ٱلمُواطِنينَ أَقَرُّوا بِأَنَّهُ عَبْقَريٌّ . فَلِسَبْعِ سَنَواتٍ سَاسَ شُؤُونَ الرَّعِيَّةِ عَلَى نَحْوٍ جَيِّدٍ شَعَرَ الرُّومانُ إِزاءَهُ بِٱلخَوْفِ مِنَ ٱلازْدِهَارِ ٱلمُطَّرِدِ لِمُنافستِهِم ٱلوَحِيدَةِ ٱلخَطِرَةِ . وَٱعْتَقَدُوا عَنْ حَقٍّ أَنَّهُ لَوْلا هَنِيبَعْلُ لَمَا اسْتَرَدَّتْ قَرْطَاجَةُ أَنْفَاسَها . فَلَفَّقُوا تُهْمَةً بِأَنَّ جِزْيَةَ ٱلحَرْبِ لَمْ تُدْفَعْ كامِلَةً . وَطَالَبُوا بِاعْتِقالِهِ وَتَسْلِيمِهِ . وكَانَ هَنِيبَعْلُ يَعْلَمُ أَنَّ مَجْلِسَ ٱلشُّيوخِ ٱلقَرْطَاجِيَّ مُؤَلَّفٌ مِنْ رِجالٍ ضَيِّقِي ٱلأُفُقِ . يَحْسُدُونَ رَجُلاً عَبْقَرِيّاً .

تَرَكَ قَرْطَاجَةَ وَأَبْحَرَ إِلى سُوريا حَيْثُ كانَ ٱلمَلِكُ أَنْطِيُوخُس في حَرْبٍ مَعَ رُوما . وَفِي بَادِئِ ٱلأَمْرِ سُرَّ أَنْطِيُوخُس كَثيراً بِأَنْ يَظْفَرَ بِمَشُورَةِ هَنِيبَعْلَ ٱلعَظِيمِ . غَيْرَ أَنَّ ٱلحَظَّ خانَهُ . فَقَدْ دُمِّرَ أُسْطُولُهُ . وهُزِمَ ٱلجَيْشُ ٱلَّذي لَمْ يَثِقْ بِهِ هَنِيبَعْلُ كَثيراً . وَخامَرَ هَنِيبَعْلَ شَكٌّ في أَنَّ ٱلرُّومانَ سَيُطالِبُونَ مُجَدَّداً بِاعْتِقالِهِ مُقابِلَ مُعَاهَدَةِ صُلحٍ وَأَنَّ أَنْطِيُوخُس سَيُوافِقُ .

فَغَادَرَ هَنِيبَعْلُ ٱلبِلادَ ٱلجَاحِدَةَ ٱلثَّانِيَةَ وَفَرَّ إلى بِيتِينْيا ، وَهِيَ دَوْلَةٌ أُخْرَى كانت في حَرْبٍ مَعَ رُوما . وَبِخَدْعَةٍ مِنْ خِدَعِهِ هَزَمَ أُسْطُولاً رُومانِيّاً بِأَنْ أَلْقَى عَلَى ظَهْرِ سُفُنِ ٱلرُّومانِ جِراراً مَلأَى بِٱلأَفاعِي ٱلسَّامَّةِ . وكَانَ هَنِيبَعْلُ آنذاكَ قَدْ جَاوَزَ ٱلسِّتِّين . وَأَدْرَكَ أَنَّ رُوما لَنْ تَكُفَّ عَنِ ٱلمُطَالَبَةِ بِمَوْتِهِ . فَتَنَاوَلَ ٱلسُّمَّ وَخدَعَهُمْ لِلْمَرَّةِ ٱلأَخيرَةِ .



السِّلْسِلَةُ ٱلتَّارِيخِيَّة

Series 561/Arabic